الباب الثاني

المبدعون و الإضطراب النفسي

الفصل الأول

"Vincent Van Gogh"فنسنت فان جوخ(1853 – 1890)

- تمهيد
- الفنان الذي قطع أذنه(دراسه تحليليه لاثر اضطراب الفنان فان جوخ على ابداعاته)
- تتوقف الباحثة عند بعض الأشخاص و الأحداث المؤثرة في حياة فان جوخ(كالآتي):
  - "ثيو"(رسائل بين فترة(1862-1890))
  - "أرسولا"(لندن 1873-1875)
  - "كاي"(بروكسل1880)
  - كرستين (سين)(لاهاي 1882)
  - مارجوت بيجيمان(نوينين في أواخر العام 1883)
  - "جوجان""Eugène Henri Paul Gauguin" (1848-1903) (آرل 1888)
  - شخصية "جاشيه " وتأثيرها على شخصيه الفنان (1889-1890)
  - تأثير ظلام المناجم على لوحات فان جوخ(1878)
  - رحلة باريس(1888 - 1886) و تأثير الإنطباعيين
  - رحلة ارل(فبراير 1888 - مايو 1889) و التأثيرات الوحشية
  - حادثة قطع الأذن و أثره على تجربة الفنان (فبراير 1888 - مايو 1889)
  - الفن مصاحباً لإنتكاسات المرض (سانت ريمي(مايو 1889 - مايو 1890))
- العلاقة بين التجربة الفنية و بين الإضطرابات النفسية
  - أهمية الخطابات الخاصة بفان جوخ في تفسير مرضه
  - الفصام و الجدال حول تشخيص حالة "فان جوخ"
  - مرض البيكا "Pica"
  - مفهوم و علامات المناخوليا(المزاج السوداوي)في رؤيه جاشيه
  - افتراض حالة الصرع لدى فان جوخ
  - حالات الهوس و الإكتئاب المفترضة لدى فان جوخ
  - أراء أخرى لتشخيص حالة فان جوخ
  - تأثير تعاطي الكافور و مشتقات التربنتين على فنسنت
  - دور الأفسنتين في مرض فنسنت
  - طبيعة مرض AIP (نوبات البورفيرية الحادة النتقطعة) Porphyria
  - فنسان فان جوخ و مرض AIP

- **الفرضية التي ترى بأن فنسان فان جوخ مريض بالصرع:**
- **الفرضية التي تقول إن فنسان مريض بالهوس الإنقباضي(Manic-Depressive Illness)**
- **معاناة فنسنت من مرض التشيزوفرنيا Schizophernia "الفصام"**
- **تأثير إدمان الكحول على نوبات البورفرية المتقطعة الحادة**

الفصل الأول

"Vincent Van Gogh"فنسنت فان جوخ(1853 – 1890)

(شكل رقم(17)) فنسنت فان جوخ، 1876، مصور مجهول

تمهيد

"البعض يولدون بعد موتهم ! سوف يجيء يومي، ولكن لن أكون هنا"فان جوخ[1]

إن الإبداع الفني عملية شديدة الخصوصية والغموض ولا يمكن فصلها عن التجربة الشخصية مما يجعلنا أميَل لتصديق وقبول فكرة المرض، بما قد يحمل من أبعاد فنية، هي فكرة ظهرت جلية في حال فان جوخ و تزداد وضوحا في تعبيره عن القوى الأصيلة الموجودة بعمق في الطبيعة، والتي لم يرمز لها بالسماء والنجوم والأشجار والزهور فحسب، بل تجاوز ذلك لاستخدام المباني والغرف بما فيها من أثاث للتعبير عن ذلك وهو شكل رمزي عميق لروحانية الطبيعة يراها البعض محاولة لتحويل معاناتة إلى حالة إيجابية منتجة لأعمال فنية.

إنه صاحب رؤيه لم يدركها عصره، إذ هو فنان يمتلك إحساسا بعبثية الوجود وخاصة بعد ان شاهد فردوس النور ووهج النار المقدسة في أحلامه فمنحته الرؤيا القدسية المنفلتة بعيدا عن الواقع. مثل هذا الفنان لن يترك هذه النعمة ليرى الواقع بعيون غيره. ولأنه رأى جحيمه على حقيقته، أصبح شاهدا على مآسي عصره فرفضه المجتمع وعده مجنونا.

الفنان الذي قطع أذنه(دراسه تحليليه لاثر اضطراب الفنان فان جوخ على ابداعاته)

"الوقت الوحيد الذي أحس فيه أنني حي هو عندما أرسم" فان جوخ[2]

ولد "فان جوخ"عام 1853 فى قرية" جروت زونديرت "إحدى قرى هولندا ولم يكن المفضل من الأبناء الستة للأب قسيس القرية ذلك الأب الذي زرع في هذا االطفل الجو الديني الصارم. أما والدته آنا كورنيلي فهي تنحدر

---

[1]-Van Gogh Museum,The letters, متواجد في http://vangoghletters.org/vg/letters.html

[2]- المرجع السابق

من عائلة ذات تطلعات برجوازية وتحرص على المظاهر ويعمل معظم أفرادها في مجال الفن، وتضم عائلتها فنسنت وأخيه الأصغر ثيو وثلاث بنات و أخيه فنسنت الذي توفى قبل ولادة الفنان فنسنت. كان فنسنت في طفولته فتى جذابا بشعره الأحمر وعينيه الزرقاوين، مغرما بجميع الخنافس وأعشاش الطيور الفارغة ومولعا باختراع الألعاب. كان اخوته يحبون صحبته، إلا أنه كان عنيدا حاد الطباع وله سلوكيات متناقضة، ويشعر بنفور كبير من المديح. [1]

فحينما صنع فيلا صغيرا من الصلصال ورسما لقطة أثنى عليه والداه، فقام مباشرة بتمزيق الرسم وتحطيم الفيل. وفي سن الثانية عشرة أرسله والده إلى مدرسة داخلية في قرية "زيفيبرجن" على بعد 15 ميلا على الرغم من دخله المحدود، إذ كان فنسنت يزداد عنفا من خلال تواصله مع أبناء الفلاحين.

ترك انفصال فنسنت عن عائلته في هذا العمر أثرا كبيرا على شخصه. ولم يعرف كثيرا عن مستوى دراسته سوى أنه تخرج منها برغبة نهمة للقراءة وبقي طيلة حياته مفتونا بالكتب، التي صورها في العديد من لوحاته. وقرأ بفضول وإعجاب كلاً من شكسبير وفولتيروهومر وديكنز من دون تمييز.[2]

كان حبه وتذوقه للفن غريبا أيضا ويعتمد على موضوع اللوحة، فقد قال في إحدى المناسبات بأنه على استعداد لمنح 10 سنوات من عمره مقابل السماح له بالجلوس لمدة اسبوعين مع رغيف خبز وماء أمام لوحة رامبرانت الرائعة «العروس اليهودية». وفي سن السادسة عشرة ترك المدرسة ربما بسبب الضغوط المالية، وبمساعدة خاله ونفوذه حصل على مكان له في منزل خاص بنسخ اللوحات الفنية الشهيرة.[3]

في عام 1869 انضم فينسنت فان غوخ إلى مؤسسة غوبيل وسي Goupil & Cie ، وهي شركة لتجار الفن في لاهاي .كانت عائلة فان غوخ لفترة طويلة مرتبطة بعالم الفن، فقد كان أعمام فينسنت، كورنيليس "العم كور" وفينسنت "العم سنت"، كانا تاجرين فنيين. أمضى أخوه الأصغر ثيو فان غوخ حياته كتاجر فني، ونتيجة لذلك كان له تأثير كبير على مهنة فينسنت اللاحقة كفنان. وفي مؤسسة جوبل، عمل في الجانب الإداري من دون أي مؤشر لطباعه التي ستمزق حياته لاحقا، كما استمتع في عمله ونجح، وبدأ يتبادل الرسائل مع أخيه ثيو، حينما كان في التاسعة عشرة من عمره وثيو في الخامسة عشرة. كان فينسنت ناجحاً نسبياً كتاجر فني، وبقى مع غوبيل وسي لسبع سنوات إضافية. في عام 1873 نقل إلى فرع الشركة في لندن وأعجب سريعاً بالمناخ الثقافي الإنجليزي، بقى فينسينت فان غوخ في لندن لسنتين أخريين. خلال تلك الفترة زار العديد من المعارض الفنية والمتاحف، وأصبح معجباً كثيراً بالكتاب البريطانيين أمثال جورج إليوت وتشارلز ديكينز . كان فان غوخ أيضاً معجباً كثيراً بالفنانين البريطانيين. أعمالهم ألهمت وأثرت في حياة فان غوخ الفنية اللاحقة[4].

أصبحت العلاقة بين فينسنت وغوبيل أكثر توتراً على مر السنوات، وفي مايو في عام 1875 نقل إلى فرع الشركة في باريس .ترك فينسنت غوبيل في أواخر شهر مارس من عام 1876، وقرر العودة إلى إنجلترا حيث كانت السنتان اللتان قضاهما هناك سعيدتين. في أبريل/نيسان بدأ فينسينت فان غوخ في مجال التعليم في مدرسة القس وليام ب. ستوكس في رامسجيت .كان مسؤولاً عن 24 ولداً تتفاوت أعمارهم ما بين 10 إلى 14

---

[1]- ابراهيم العريس، فينسنت فان جوخ، المعرفة،/ http://www.marefa.org/index.php

[2] - روبرت والاس، مجلة العربي الحر، أدب (صفحات خاصة)، عالم فان جوخ، ترجمة: رشا المالح،/http://www.freearabi.com

[3]- ابراهيم العريس، المرجع السابق

[4] - ويكيبديا الموسوعة الحرة، فينسنت فان جوخ،/http://ar.wikipedia.org/wiki

سنة. واصل فان غوخ في وقت فراغه بزيارة المعارض وتقديم الاحترام للعديد من القطع الفنية العظيمة هناك. كرس نفسه أيضاً لدراسة التوراة، فأمضى العديد من الساعات يقرأ ويعيد قراءة الإنجيل .كان صيف 1876 وقتاً دينياً بالنسبة لفينسنت فان غوخ. بالرغم من أنه تربى عند عائلة دينية، لم يبدأ بتكريس حياته إلى الكنيسة بجدية إلا عند هذا الوقت [1]. فصل من عمله واتجه لدراسة اللاهوت واتجه إلى بلجيكا ليعمل واعظا دينيا في منطقة البوريناج عام 1878 حيث مناجم الفحم المظلمة والعمال اليائسين فقد كان مستعدا أن يهب نفسه للناس. فشارك العمال حياتهم القاسية وطعامهم وشرابهم ومأواهم وتبعهم داخل سراديب الفحم ليهبهم الأمل ويذكرهم برحمة السماء. ولم تعجب تصرفاته محترفي الكهانة والكلام المحفوظ فاعتبره خارج على تعاليم الكنيسة والمسيحية، ذلك لأنه أعطى أكثر مما يجب[2]. ففي لوحاته فيما بعد استطاع أن ينقل شعوره الديني طبقا لرؤيته تجاه الإنسانية بشكل بسيط .. ذلك الشكل الذي سبق ورفض من الآخرين حين مارسه كرجل دين .. فنقل شعوره الديني في لوحاته غير أنه لم يتناول موضوعات الدين التقليدية .. وكتب لأخيه ثيو قائلا :"بالرغم من أن الأفكار الدينية تقدم لي عزاء كبير إلا أن الصور لم تكن تتداعى من رمزية الكهنوت والمعبودات ، ولكن تأتيني من الشعور بالطبيعة والناس البسطاء الذين هم جزء من الطبيعة"[3]

"أنني أتعفن مللاً لولا ريشتي وألواني هذه، أعيد بها خلق الأشياء من جديد.. "فان جوخ[4]

بعد فصله من عمله كواعظ بالمناجم ساوره إحساس بأنه قد خرج من ظلام المنجم الكهفي متعطشا إلى النور محاولا أن يجد لنفسه سبيلا ينجح فيه ويفتح ثغرة داخل نفسه يندفع منها مكبوته الداخلي، وكتب لأخيه ثيو الذي كان يعمل في محل لتجارة اللوحات الفنية قائلا: "منذ سنوات ولا أعرف بالضبط كم فات من الوقت، أمضى بلا عمل أو أكاد متخبطا هنا وهناك، على أن الشيء الوحيد الذي يؤرقني هو: كيف أكون نافعا في هذا العالم؟ .. ألا يمكنني أن أقدم هدفا وأصبح مجديا على نحو ما .. هناك شيء داخلي .. ترى ماهو؟." وبعد أشهر من البؤس بسبب الأحداث القاسية والفشل المتكرر حاول فان جوخ دراسة وليم شكسبير وتشارلز ديكنز وفيكتور هوجو ..وخلص إلى إدراك أن عزاءه الشخصي في الرسم[5].

بعد فترة قصيرة قضاها في بوريناج هينو، بلجيكا ونويْنين هولندا، انتقل ليعيش في باريس 1887-1886 من قبل أن يحل ضيفا على الـ بروفنس مناطق الجنوب الفرنسي، ويقرر الإقامة في مدينة آرل .اكتشف الضوء والطبيعة الخلابة للريف، فأصبحت لوحاته زاهية بالألوان. التحق به لبعض الوقت صديقة الفنان بول غوغان، وبسبب تدهور حالته العصبية في عام 1888م احتجز بملجأ سان-ريمي-دو-بروفنس (Saint - Rémy-de-Provence) للمرضى العقليين اثر نوبات عصبية حادة، أنجز أثناءها أشهر لوحاته، بعد أن خرج من المصحة، استقر (1890 م) في أوفير-سور-واز(Auvers-sur-Oise) ، وواصل عمله الفني قبل أن يقوم بوضع حد لحياته - احب فتاة ولم يجد الهدية المناسبة التي تليق بها, فقطع اذنه وأعطاها اياه كهدية، ثم انتحر

---

[1]- المرجع السابق

[2]- ابراهيم العريس، فينسنت فان جوخ، المعرفة،المرجع السابق/ http://www.marefa.org/index.php

[3]- ويكيبديا الموسوعة الحرة، فينسنت فان جوخ، المرجع السابق -http://ar.wikipedia.org/wiki/

[4]-Van Gogh Museum,The letters, متواجد في http://vangoghletters.org/vg/letters.html

[5]- فاطمةعلى،فان جوخ،سلسلة الفن العالمي،قطاع الثقافة، دار أخبار اليوم.

وأطلق النار على نفسه. و انتهت حياة فنسنت وتتردد في أذهاننا مقولته الشهيرة:" البعض يولدون بعد موتهم! سوف يجئ يومي، و لكن لن أكون هنا" فان جوخ. [1]

تتوقف الباحثة عند بعض الأشخاص و الأحداث المؤثرة في حياة فان جوخ(كالآتي):

"ثيو"(رسائل بين فترة(1862-1890))

شكل رقم(18)): ثيو فان جوخ، الأخ الأصغر لفنسنت فان جوخ، مصورمجهول

ان ثيو الأخ الاصغر لفان خوخ وكان يعمل كتاجر فنون، وقام بدعمه مادياً ومعنوياً والذي كان يدعمه في عمله، كان صديقه الدائم في السراء والضراء.

تعتبر رسائل فان جوخ خير شاهد على جميع لحظات ومراحل حياته ، وكان معظم تلك الرسائل موجها إلى أخيه ثيو الذي كان يساعده بلا كلل ولا ملل وبجميع الطرائق الممكنة ، والذي لم يفقد الثقة به يوما من الأيام ، والذي لم يتحمل البقاء بعده حيا فمات بعد أقل من ستة أشهر من موت أخيه بعد أن تدهور عقليا وبدنيا. فاصابه المرض، وغادر العالم بعد ستة اشهر من وفاة شقيقه ليلحقه، حيث اخذت زوجته جوانا جثته من اوتريخت في فرنسا حيث دفن ثيو وقامت بدفنه في اوفير مقابل فنسنت فان جوخ.

"أرسولا"(لندن 1873-1875)

كان " فنسنت فان جوخVincent Willem Van Gogh " يعيش فى حجرة استأجرها و هو فى مطلع شبابه فى شقة إحدى الأسر بلندن . و كانت تلك الأسرة مكونة من أم و ابنتها الشابة المسماه" أرسولا ".كانت"أرسولا "لطيفة مع" فنسينت "، مما جعله يتعلق بها و يحبها بكل جوارحه . و لكن المسكين صدم عندما علم أن حبيبته مخطوبه لشخص غائب عنها منذ فترة طويلة . فأخذ فى الإلحاح عليها بأن تزهد خطيبها ، وأن تفسخ تلك الخطبة معاه ، و ترتبط به هو لأنها لابد أن تحس بنفس ما يحس به من حب ووجدان دافق نحوها .و لكن لشدة

[1] - ابراهيم العريس، فينسنت فان جوخ، المعرفة،المرجع السابق/http://www.marefa.org/index.php

ما كانت الصدمة عنيفة إذ تعمد" أرسولا "إلى صده بقسوة و إصرار . و لكن صدها له و قسوتها عليه لم تكن لتزيده إلا تعلقاً بها و ملاحقة لها ، وقد أدى إصراره على ربط حياته بها إلى طرده من المنزل بطريقة معيبه و مزرية. بعدها انتقل" فنسنت فان جوخ "إلى حجرة أخرى فى شقة إمرأة عجوز و ظلت صورة حبيبته "أرسولا "تطارده و تلح عليه سواء فى حجرته الجديدة أم فى عمله كبائع للصور و التحف الفنية. و قد تواكب مع طرده من عمله زواج" أرسولا "من خطيبها . فقرر" فان جوخ "مغادرة لندن.

"كاي"(بروكسل1880)

نشأت علاقة حب قوية بينه و بين ابنة عمه الأرمله و اسمها" كاى "و قد صارت ملهمته فيما صار يقوم برسمه ، و كان تشجيعها له فى صمت و قد كانت تنصت إلى كلامه و تشجعه على التعبير عما فى نفسه من آمال و أحلام تتعلق بفنه . و كانت" كاى "و" جان "طفلها الصغير يصحبان" فنسنت "كل يوم إلى الحقول حيث كان ينصب حامله بينما كان يظل جان يلعب فى الرمال و كاى تقرأ فى كتاب . و كان فنسنت يعكف على الرسم فى انهماك و صمت و تدفق . و لكن علاقة الحب بينه و بين ابنة عمه" كاى "لم تكن هى الأخرى بأفضل من حبه لحبيبته الأولى" أرسولا "و ذلك أنه عندما فاتحها بحبه هربت منه و احتقرته و صدته عن طريقها بمقت شديد . و لقد اكتشف" فنسنت "أن سبب صدها له هو أنها ابنة عمه من أول درجة و أن هذا لا يسمح له بالزواج منها وفقاً للتقاليد الذائعة فى أسرته . و ذهبت" كاى "من حياته و لكن فقدانه لها كان بمثابة ضربة قاصمة الظهر لأن ذلك الصد الذى لقيه منها قد أضيف إلى صد حبيبته الأولى" أرسولا "له . ففقد ثقته فى نفسه و أخذ يتجه نحو احتقار شخصيته.[1]

"لقد شاخ العالم وكثرت تجاعيده وبدأ وجه اللوحة يسترخي أكثر... آه يا إلهي ماذا باستطاعتي أن أفعل قبل أن يهبط الليل فوق برج الروح؟ الفرشاة،الألوان.و... بسرعة أتداركه:ضربات مستقيمة وقصيرة. حادة ورشيقة..ألواني واضحة وبدائية. أصفر أزرق أحمر.. أريد أن أعيد الأشياء إلى عفويتها كما لو أن العالم قد خرج تواً من بيضته الكونية الأولى...فان جوخ"[2]

بعد أن استرد الفنان ثقته فى نفسه ، صار يعمل كل يوم لمدة أطول مما اعتاد ، كما صار يبذل جهداً أكثر و لكنه أخذ يفقد شهيته للطعام ، و ربما ظل طوال الليل يؤرقه السهاد و يفكر فى الأشياء التى ينبغى أن يعملها . و بينما كانت قواه تخور ، كان انفعاله يشتد و سرعان ما صار يعيش على طاقته العصبية و ربما تقلص جسمه فى هيكله العظمى و تغشى العينين ضبابه قاتمه ، و كلما استبد به التعب استمات بالعمل . و ربما اشتدت به النوبة العصبية التى كانت تتملكه ، و كان يدرك بكم الوقت الذى سوف يستغرقه لينتهى من اللوحة و قد صمم على أن ينتهى منها خلال اليوم نفسه . كان كرجل تقمصه ألف شيطان بينما كانت أمامه سنوات لإتمامها .و

---

[1]-- فاطمةعلى،فان جوخ،سلسلة الفن العالمي،قطاع الثقافة، دار أخبار اليوم

[2]- Van Gogh Museum,The letters ,المرجع السابق

لكن شيئاً ما كان يرغمه على أن يمزق نفسه كل ساعة من الساعات الأربع و العشرين . و فى النهاية يصير فى أقصى انفعاله و هياجه العصبى . و يتبع هذا حدوث مشهد مخيف . فإذا وقف أحد فى طريقه كان يندفع مزمجراً إلى اللوحة بكل ما لديه من قوة , و لا يهمه ما تستغرقه من وقت حتى تنتهى [1]. و حالما كانت تنتهى اللوحة ينهار و يسقط منهكاً و تخور قواه و يصاب بالمرض و يبدأ فى الهذيان . و تمضى أيام و هو مريض حتى يستعيد صحته و عافيته . و كان استنفاذه لقواه يجعله يشعر بالغثيان عندما يرى أو يشم رائحة الطلاء .و فى بطء شديد تعود له قواه ، و فى صحوته قد يستعيد اهتمامه و يروح و يتجول فى الاستوديو ينظف الأشياء أو يتمشى فى الحقول ، و فى بداية الأمر لا يرى شيئاً ، و لكن فى النهاية تقع عيناه على بعض المناظر و عندئذ تبدأ الدورة مرة أخرى.

كرستين (سين)(لاهاى 1882)

تعَرف" فنسنت "بعد ذلك على إحدى الساقطات اسمها" كريستين(سين) "ووجد لديها بعض من العطف الذى كان بحاجه إليه بعد أن صدم فى حبه الصادق مرتين . و اتخذها" فنسنت "موديلاً يقوم برسمه. و اقترن "فنسنت" "بكريستين "لفترة طويلة من الحياة بغير زواج و لكنها لم تكن تفهم إلا قليلاً مما كان فنسنت يعمله ، و أدركت أن الرسم هو الصخرة التى بنيت عليها حياته، فقد كانت" كريستين "رفيقة طيبة لأغراض الحياة المنزلية العادية . و لكن الحياة المنزلية العادية لم تكن تحتل إلا جزءاً ضئيلاً من حياة" فنسنت." و عندما كان "فنسنت "يضطر إلى العمل بالبيت من الصباح حتى يرخى الليل سدوله ، كان من الصعب أن يحافظ على علاقة مرضية معها ، و عاد يرسم من جديد و كان يوفر من النقود التى يصرفها على الألوان . و عندما ساءت حال" فنسنت "المالية و النفسية و قد وجد حياته مع" كريستين "أصبحت مستحيلة . قرر العودة إلى وطنه فقد كان مريضاً يتضور جوعاً ، و كانت أعصابه مهدمه ، كما كان[2] منهوك القوى خائر العزيمة . و هو سوف يعود إلى وطنه ليرى أمه و يقضى ببيته بضعة أسابيع ليسترد فيها صحته و روحه المعنوية . و خامره احساس بالطمأنينه لم يعرفه منذ شهور طويلة. [3]

مارجوت بيجيمان(نوينين فى أواخر العام 1883)

"إلى أين تمضي الحياة بي؟ ما الذي يصنعه العقل بنا؟

أنه يفقد الأشياء بهجتها ويقودنا نحو الكآبة..."فان جوخ[4]

..بعد بضعة أسابيع من وجوده فى بلدته أخذ يخامره شعور بأن الناس من حوله يراقبون حركاته بل و يقتفون أثره . و فى بداية أحساسه بهذا الشعور حاول أن يتخلص منه , و لكنه لم يتمكن من ذلك و لكأن عيون الناس

---

[1]-- يوسف ميخائيل أسعد(1986)، المرجع السابق،ص274

[2]- فان جوخ، القصرية، متواجد في: http://gasriya.blogspot.com/2010/12/blog-post_14.html

[3]-ياسمين زكي، فنسنت فان جوخ الرجل ذو الغليون، منتديات مجلة أقلام الثقافية، متواجد في http://www.aklaam.net/forum/showthread.php?t=27314&page=3

[4]- Van Gogh Museum,The letters, المرجع السابق

تخترق ظهره بنظراتها الحادة و كثيراً ما كان يرى أشباحاً لا وجود لها . و فى إحدى المرات خيل له أنه لمح طرف الثوب الأبيض لإمرأه و هى تتوارى خلف شجرة ، و فى مرة أخرى و بينما كان خارجاً من بيت أحد النساجين رأى شبحاً يسرع قى الطريق . و مرة ثالثة أيضاً بينما كان يرسم فى الغابة ترك حامل صورة و سار إلى الغدير ليشرب و عندما عاد وجد بصمات أصابع على اللون الذى لم يجف. كان الشبح الذى لمحه" فنست " حقيقياً . إنها إحدى فتيات البلدة التى أعجبت برسمه و اسمها" مارجو "بيد أن" فنسنت "لم يحس_نحوها بمثل ما كانت_تحس به من حب نحوه و كانت القرية تحب" مارجو "و لكنها لا تأمن جانب" فنسنت "و تتوجس منه خيفه ، و حاولت والدة" مارجو "و شقيقاتها الأربع فصل هذه العلاقة و لكن دون جدوى. و لم يفهم" فنسنت " مطلقاً لماذا كان أهل البلدة يكرهونه إلى هذا الحد ، و كان بين أهل القرية و بين" فنسنت "ود مفقود لأنهم كانوا لا يثقون به و لأنهم عجزوا عن فهم أسلوبه فى الحياه . و استطاع هو أن يحس بكراهيتهم تحيط به من كل جانب فقد كانوا يديرون له ظهورهم عندما يقترب منهم ، و لم يقبل أحد منهم أن يتحدث إليه أو أن يزوره و أصبح واحداً من المنبوذين . فقد" فنسنت "الرغبة فى إقامة أيه علاقة اجتماعية بالآخرين . و كان الوقت الوحيد الذى يشعر فيه بالحياة هوذلك الوقت الذى كان يكدح فيه فى عمله .أما عن حياته الشخصية فلم تكن له حياة بمعنى الكلمة، فقد كان يعلم أن أحداً لا يريد شراء لوحاته .لقد هجرته رغبة النجاح فقد كان يعمل لأنه يحب أن يعمل ، و لأن هذا كان يحميه من الألم العقلى و لأن هذا كان يشتت أفكاره القاتمة و ذهنه المريض.[1]

"جوجان""Eugène Henri Paul Gauguin" (1848-1903) (آرل 1888)

من المؤكد أن فان جوخ قد أدرك فى تلك الفترة المصاعب التى تواجهه لجعل رسمه أكثر تعبيراً... عما يموج بداخله من انفعالات جعلته يحاول اللجوء النفسى و الفنى إلى جوجان الذى نال فى ذلك الحين شهرته كرسام و فى نفس الوقت هو صديق له و هذا اللجوء كان بدايه المتاعب الفنية و النفسية" لفان جوخ." بعد شهور قليلة أصبح" فان جوخ "فناناً تعبيرياً .. و دعى"جوجان "أن يشاركه مرسمه فى الجنوب و ذلك فى آواخر سنة 1888و كانت تلك الزيارة بداية الكارثة" لفان جوخ "فأختلافا كثيراً فى الحياة معاً داخل مرسم واحد و توترت العلاقة بينهما ، و يرجع سبب التوتر بين الفنانين الكبيرين" فان جوخ "و" جوجان "إلى محاولات" جوجان " المستمرة بإقناع" فان جوخ "أن يلجأ فى لوحاته إلى تصوير المنظر المقرب الذى يقطع شكل الشخوص من الوسط و يعطى انحناءة من الجانب عبر سطح اللوحة تؤدى بالمشاهد لدخول عمق اللوحة مباشرة كما فى لوحة" جوجان " "الرؤيا بعد الموعظة(شكل رقم (19)) . " و فى نوفمبر 1888 رسم" فان جوخ "لوحته " **نزهة فى آرل** " (شكل رقم(20)) و فيها وضح بشدة تأثير جوجان الفنى عليه و اعتمد" فان جوخ "فى لوحته هذه تنفيذ فكرة جوجان بطريقة القطع من الوسط فى المنظر المقرب

[1]- المرجع السابق،ص276

(شكل(19)):بول جوجان، الرؤيا بعد الموعظة، 1888، زيت على قماش، جاليري اسكتلندا الدولي، ايدنبرغ، المملكة المتحدة البريطانية

(شكل(20): فنسنت فان جوخ، نزهه في آر، 1888، زيت على قماش، هيرميتاج، بيترسبرغ، روسيا

و بالفعل قطع الإمرأتين فى لوحته عند الوسط و من الخلف ظهرت امرأه منكئفه تجمع زهور فى الحقل.... من خطأ فان جوخ أن حاول الرسم بطريقة ليست من أسلوبه أو رؤياه فى شيء فقد أصر جوجان أن يرسم جوخ من الذاكرة لا من الطبيعة مما جعل مهمة الرسم عليه شاقة و متعذرة ... كان اصرار جوجان الدائم على طريقة القطع النصفى للأشكال تزعج" فان جوخ "ووصل الأمر أن أخذ" جوجان "يحث" جوخ "على التخلى عن ضربات الفرشاه المتميز بها و يلجأ إلى الخطوط السميكة المحيطة بالمساحات اللونية المسطحة. [1]

قد كانا يرسمان طوال النهار ، ثم يتصارعان طوال الليل ، لا ينامان مطلقاً و يأكلان قليلاً و فى إحدى الليالى ذهبا إلى المقهى و طلب" فنسنت "قدحاً من الجعة المخففة، و فجأه ألقى بالكوب و بما يحتوى إلى رأس "جوجوين "،فتفاداه" جوجان "و حمل صديقه إلى البيت و ألقى به على السرير و لكن" جوجان "كان يحب "فنسنت "من جهة ، و يود مغادرته فى الوقت نفسه خوفاً من اندفاعاته من جهة أخرى و لكن" فنسنت "كان يتوسل إليه تارة ، و يتملقه تارة أخرى، أو يلعنه و يهدده تارة ثالثة بل أنه كان يبكى نادماً على ما صدر منه تجاهه فى بعض الأحيان[2].

شخصية "جاشيه " وتأثيرها على شخصيه الفنان (1889-1890)

أن "جاشيه" (الدكتور الخاص لفان جوخ) كان مولعاً بالرسم إلى حد كبير ، و يلاحظ **فى بورتريه الدكتور جاشيه(شكل رقم (21))** الذى رسمه الفنان" فان جوخ "استخدام الألوان و العلاقات فيما بينها تماماً كما فى البورتريه الذى رسم " فان جوخ "نفسه .هو ما دعا "فان جوخ" إلى عَدَّ جاشيه بمثابة القرين أو الشبيه ، كما أوضح جوخ ذلك فى كتاباته حين قال :" وجدت فى الدكتور جاشيه صديقاً و أخاً جديداً لما لمسته بيننا من أوجه

[1]- مصطفى يحيى(1993)،القيم التشكيلية قبل و بعد التعبيرية،دار المعارف،القاهرة،ص14:15

[2]-ابراهيم العريس، فنسنت فان جوخ،المعرفة، متواجد في:
http://www.marefa.org/index.php/%DA%A4%D9%8A%D9%86%D8%B3%D9%86%D8%AA_%DA%A4%D8%A7%D9%86_%DA%AF%D9%88%D8%AE

تشابه فى الشكل و المضمون ، فكلانا غريب الأطوار ، و أنا لا أعتد بنفسى حين أرسم هذة الصورة بمشاعرى و أعتقد أن البورتريه الخاص بى لا يختلف كثيراً عن ذلك الذى رسمته للدكتور جاشيه[1].

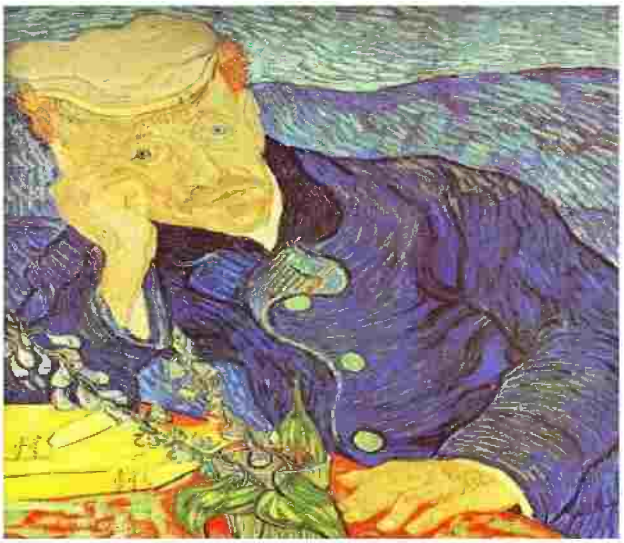

(شكل رقم (21)): فنسنت فان جوخ، بورترية الدكتور جاشيه، يونيو 1890، زيت على التوال، مجموعة ريوي سايتو، توكيو.

تأثير ظلام المناجم على لوحات فان جوخ(1878)

أخذ" فنسنت "طريقه إلى مناجم الفحم حيث عمل هناك قسيساً وواعظاً كما ذكرنا من قبل، و فى أحد أيام نوفمبر الصافية جلس على عجلة حديدية صدئه يراقب عمال المناجم من البوابة ، فشاهد أحد العمال كانت قبعته السوداء تظلل عينيه ، و كتفاه منحنيين و قد دس يديه فى جيبي سترته و ركبتاه الكبيرتان بارزتان إلى الخارج،

فجذب منظرالرجل انتباه" فان جوخ "و أثار به رغبة ملحة فى رسمه ، فأخذ يفتش فى جيوبه ووجد القلم الرصاص و خطاباً كان قد وصله من والده و به صفحة بيضاء ، فأخذ يعبر عن انطباعه الفنى بأن رسم ذلك المخلوق بسرعة ، و كانت هذة نقطة البداية فى قصة فان جوخ مع الرسم. و بعد أن عاد" فان جوخ "إلى الدار التى كان يقطنها وجد بالمصادفة فروخاً عديدة من الورق النظيف الأبيض و قلماً ثقيلاً فعكف على الرسم حتى غابت الشمس و خيم الظلام على الحجرة و هو منهمك على الأوراق يرسم عليها. [2]

دأب فنسنت على الرسم ، و كان ما يشعر به أنه يجب أن يرسم بلا توقف ، و أنه يجب أن يلاحظ و أن يسجل كل ما يمت إلى الحياة الريفية بصله. امتدت الرمزية متمثلة فى وجدانه(شكل رقم(22)) برؤيته " باذر الحبوب " لميليه (شكل رقم(23))و ظلت تطارد ذهنه كلما بدأ فى لوحة لها من رمزية كامنه و جلية فى آن واحد ... فالأشكال عنده لم تعد لذاتها بل لما ترمز إليه.

---

[1]- خالد جمال،الطب و أمراض المشاهير فان جوخ نموذجا،مجلة العربي،متواجد في:
http://www.alarabimag.com/Article.asp?ART=5308&ID=54

[2]- يوسف ميخائيل أسعد(1986)، المرجع السابق،ص273

(شكل رقم(22)): فنسنت فان جوخ (باذر الحبوب مع غروب الشمس) يونيو1888، زيت على قماش، متحف ريجكس، هولندا

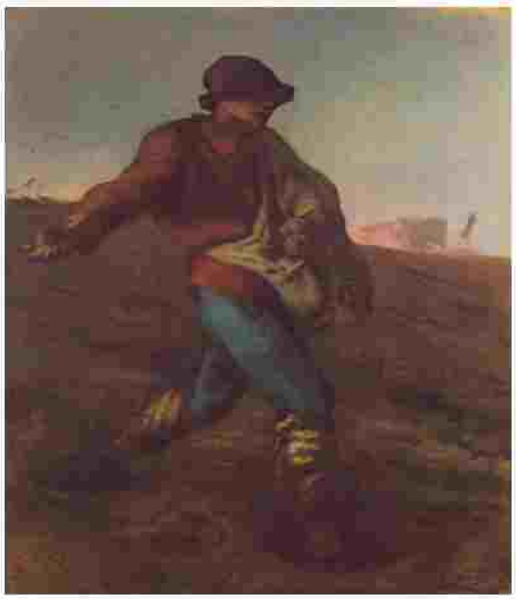

(شكل رقم(23)):جون فرونسوا ميليه، باذر الحبوب،1850، متحف الفنون الجميلة ، بوستن

أو بشكل آخر كان للأشكال لديه أبعاد درامية و إنسانسة عنيفة حتى أنها كانت تؤلمه على المستوى الشخصى و الإنسانى .و بدأ يرسم الفلاحين و عمال المناجم بإحساس حزين فيه الكثير من التعبير و الرمزية معاً ..و أنتج فى هذة الفترة لوحتيه (الحذاء)(شكل رقم(24)) و(آكلو البطاطس)(شكل رقم(25)). [1]

- لوحة الحذاء(1885) (شكل(24))

الحذاء قد يكون أحيانا مجرّد حذاء. لكنه في بعض الحالات يمكن أن يتضمّن الكثير من المعاني والرموز.

في احد الأيّام زار فان غوخ احد الأسواق الشعبيّة في باريس. وهناك رأى زوجا من الأحذية الخشبية البالية. وقرّر أن يشتريهما واحضرهما معه إلى محترفه في حيّ مونمارتر.وليس من الواضح لماذا اشترى الحذاءين. لكن يمكن أن يكون السبب ببساطة انه كان بحاجة إلى زوج جديد من الأحذية. وبعد فترة قصيرة قام برسمهما. وسرعان ما أصبح هذان الحذاءان أشهر حذاءين في تاريخ الفنّ الحديث، بالنظر إلى الدور الكبير الذي لعبته هذه اللوحة في الفلسفة الحديثة وعلاقتها بعالم الأفكار. في عام 1936 رأى الفيلسوف الألماني مارتن هايديغر اللوحة في معرض بـ أمستردام، وفي ما بعد، تحدّث عنها في مقال حمل عنوان "أصل العمل الفنّي"، وفي السنوات التالية كتب علماء ومفكّرون مثل ماير شابيرو وجاك ديريدا وإيان شو وستيفن ميلفيل وجهات نظرهم حول حذاء فان غوخ. في العام 1886 انتقل فان غوخ إلى العاصمة الفرنسية. كان عمره في ذلك الوقت ثلاثة وثلاثين عاما، وكان يتمنّى أن يصبح جزءا من مشهد الفنّ الطليعي في باريس. وقد رسم هذه اللوحة في مرسمه، وفيها يصوّر زوجا من الأحذية القديمة . عندما رأى زملاؤه اللوحة، كان ردّ فعلهم غريبا، بعضهم رأى فيها

---

[1]- ابراهيم العريس، فنسنت فان جوخ،المعرفة، متواجد في:
http://www.marefa.org/index.php/%DA%A4%D9%8A%D9%86%D8%B3%D9%86%D8%AA_%DA%A4%D8%A7%D9%86_%DA%AF%D9%88%D8%AE

شيئا عبثيا، بينما تساءل آخرون عن السبب الذي دفع فان غوخ لرسم هذا الموضوع الساذج وما إذا كانت لوحة مثل تلك تصلح لتزيين جدران غرفة الطعام مثلا. لكن فان غوخ لم يشرح أبدا ما الذي قصده من اللوحة.

(شكل رقم(24)):فنسنت فان جوخ، الحذاء، زيت على قماش،1885، متحف فان جوخ، امستردام

وبالنسبة للعديد من مؤرّخي الفنّ، كانت اللوحة مجرّد دراسة. وهذا أمر ممكن طبعا. وكان هناك احتمال أن فان غوخ كان يحاول من خلال اللوحة تجريب بعض الألوان. واختياره الحذاء كموضوع سمح له ولا شكّ بالعمل مع الألوان البنّية وتدرّجاتها. وقد مزج فيها اللون البنّي بالأخضر مع ظلال خفيفة من الاصفر الباهت. كما وظّف فيها الألوان الزيتية بطريقة سميكة وخشنة إلى حد ما مع ضربات فرشاة واضحة. لكن يبدو انه كان لهذه اللوحة الصغيرة معنى أعمق بكثير مما يظهر على السطح. وبعد خمسين عاما على رسمها، أي بعد أن مات فان غوخ بزمن طويل، بدأ نزاع بين الفلاسفة ومؤرّخي الفنّ ما يزال مستمرّا إلى اليوم. وقد امتدّ النقاش وتفرّع ليتناول بعض القضايا الكبرى مثل وظيفة الفنّ وطبيعة العمل الفنّي. الفكرة التي طرحها هايديغر في حديثه عن اللوحة ترتكز على حقيقة أننا نستخدم الأشياء في حياتنا اليومية ونستطيع أن نعرف الغرض من استخدامها. لكنّ جوهرها يظلّ مخفيّا أو مغيّبا عنّا. وهذا الجوهر هو ما يكشف عنه الفنّ. لذا فإن وظيفة العمل الفنّي من وجهة نظره هي أن يكشف لنا عن الجوهر الحقيقي للأشياء.

عندما نظر هايديغر إلى حذائي فان غوخ توصّل إلى استنتاج مؤدّاه أنهما يخصّان امرأة فلاحة. لكن كلام هايديغر ووجه بمعارضة من المؤرّخ الأمريكي ماير شابيرو الذي أكّد على انه يستحيل فهم معنى ودلالة اللوحة ما لم نعرف أوّلا نوايا فان غوخ من وراء رسمه لها. بينما شابيرو الذي غرق عميقا في مراسلات فان غوخ وأشيائه الخاصّة وكتابات أصدقائه، قال إن العيب في تفسير هايديغر يكمن في انه اسقط مفهومه عن البدائية والترابية على اللوحة. وأضاف إن المشكلة بدأت عندما افترض هايديغر أن الحذاء يخصّ امرأة ريفية. وهو استنتاج خاطئ، وأشار شابيرو أيضا إلى أن الحذاءين يخصّان الفنّان نفسه وأنه عندما رسمهما كان يقطن المدينة. كما رجّح افتراض أن ما اجتذب فان غوخ للموضوع هو الطبيعة الشخصية للحذاءين والشكل الخاصّ الذي اكتسباه بسبب لباسهما أو استخدامهما، في إشارة إلى آثار البلى والتجاعيد الظاهرة على الحذاءين. بالنسبة لـ فان جوخ، الذي كان يمشي حافي القدمين معظم حياته، كان للحذاء معنى خاصّ. [1]

[1]- سجال فلسفي حول الحذاء، خواطر و أفكار، متواجد في: http://prom2000.blogspot.com/2010/10/blog-post_18.html

فهو يرمز لفكرة الحياة باعتبارها رحلة روحية. وطبقا لـ شابيرو، فإن فان غوخ عندما رسم الحذاءين فإنه إنما كان يرسم بورتريها رمزيا لنفسه. والتوقيع الظاهر في أعلى يسار اللوحة والمكتوب بأحرف حمراء يرجّح احتمال انه عنوان اللوحة الأصلي. "زوج من الأحذية" هي واحدة من عدّة لوحات رسمها فان غوخ في فترات مختلفة من حياته. وقد رسم الأحذية وأضفى عليها "شخصيّة" وأولاها اهتماما لا يقلّ عن اهتمامه بلوحاته الأخرى عن الأشخاص والطبيعة. كان فان غوخ يجد الجمال في كلّ شيء في الحياة اليومية، بما في ذلك الأشياء التي قد لا ينتبه لها معظم الناس، واعتبرها دائما تستحقّ الرسم. [1]

هناك من النقّاد من أكّدوا على القيمة التأويلية للوحة فان غوخ عن الأحذية. ورأوا أن العمل الفنّي، مهما بدا موضوعه خاملا أو بالغ الشيئية، يمكن فهمه كدليل أو كفكرة مجازية عن واقع اكبر أو حقيقة نهائية. والآن لنتمعّن قليلا في كلّ هذا الذي قيل عن الحذاءين. بالنسبة لـ هايديغر، فإن اللوحة تعبّر عن حقيقة خاصّة وغير منظورة في الحياة اليومية. وبالنسبة لـ شابيرو، يمكن قراءة اللوحة على أنها بورتريه رمزي للفنّان الذي رسمها. وهايديغر يقول إن الحذاءين لامرأة فلاحة، بينما يؤكّد شابيرو أنهما لرجل من قاطني المدينة هو فان غوخ نفسه. لكن ما الذي يمكن أن نتعلّمه أو نستفيده من كلّ هذا الجدل؟ أليس من الأفضل أن نتوقّف عن الحديث عن الصورة ونكتفي بالنظر إليها؟ في مرحلة تالية من حياته، كتب فان غوخ إلى أخيه ثيو يقول: أعتقد أن هذه اللوحات يمكن أن تقول لك ما لا استطيع التعبير عنه بالكلمات". ولهذا السبب بالتحديد، يستحقّ فان غوخ أن نتحدّث عن صوَره. وكلّما تحدث الإنسان عن صورة ما، كلّما تكلّمت الصورة بوضوح أكثر.

- لوحة آكلو البطاطس ما بين إبريل و مايو (1885)(شكل رقم(25))

هى تعتبر الثمرة العظمى لهذه المرحلة ، و قد نفذها بطريقة خشنه فى الملامس... و إظلام داخلى شغل كامل اللوحة إلا من ضوء مصباح غاز معتم يؤكد حالة البؤس التى يعيشها شخوص اللوحة .

(شكل رقم (25)):فنسنت فان جوخ، اكلو البطاطس، زيت على قماش،1885، متحف فان جوخ، امستردام.

[1] - ثمة حذاء، أرصفة، متواجد في: http://mamdouha.wordpress.com/2013/10/05/

... اللوحة يخيم عليها جو ساكن كجو الطقوس القديمة داخل غرفة مغلقة كأنها فرغت من الهواء أكد ذلك تلك الكتلةالبشرية الفظة فى شخوصة و محاولته التأكيد بأنهم مجرد قرويين هولنديين ، و هذه الخاصية فى التعبير يتعذر على أحد سوى" فان جوخ "أو" ميله "الشديد الإنسانية أن يقدما مثيلاً لها فى أعمالهم.

" كل الألوان القديمة لها بريق حزين فى قلبى، هل هى كذلك فى الطبيعة أم أن عيناى مريضتان؟، ها أنا أعيد رسمها كما أقدح النار الكامنة فيها..."فان جوخ[1]

استطاع أن ينقل شعوره الدينى في لوحاته طبقاً لرؤيته تجاه الإنسانية بشكل بسيط ذلك الشكل الذى سبق و رفض من الآخرين حين مارسه كرجل دين ، فنقل شعوره الدينى فى لوحاته غير أنه لم يتناول موضوعات الدين التقليدية

رحلة باريس(1888 - 1886) و تأثير الإنطباعيين

سافر إلى باريس عام 1886 و قضى بها حوالى عامين ، و بعد رؤية الإنطباعيين اختفت من لوحات فان جوخ ألوانه الرمادية و البنية و حل محلها الألوان الصافية ..كما اختفت موضوعاته القاسية أو البائسه فى أعماله .. فلم يرسم فان جوخ فى باريس الفلاحين و العمال و المشاهد المألوفه.لدى الفنانين لكنه عكف على رسم الموضوعات الغير شخصية و المجهولة للإنطباعية.[2]

كذلك رسم لوحة «الأب تانغي» (شكل رقم(26)) ..أما هنا فحسبنا ان نشير، على سبيل رسم خلفية تاريخية مختصرة، الى ان فان جوخ كان التقى تاجر اللوحات الفنية الأب تانغي في ضاحية آنيار شمال باريس، حيث كانا يعيشان. وكان تانغي في ذلك الحين معروفاً بمساعدته للفنانين الجدد، وإقراضهم من ماله على حساب متاجرته بلوحاتهم المقبلة. وفي مجال التعبير الفني كان فان جوخ في ذلك الحين (1887) يخوض نقاشات، صاخبة مع برنار وجوجان، يعبّر فيها عن رفضه لمبدأ ان الانطباعية كانت هي ذروة التعبير الفني وفن الحاضر والمستقبل. وهو من خلال اكتشافه لأعمال الفن الياباني وملصقاته، كان قد بدأ يرى للفن آفاقاً جديدة، ترتبط، مثلاً، بالتعبير الياباني وألوانه وأشكاله، في الوقت نفسه الذي بدأ يطور فيه تقنية «التنقيطية»... ولا يزال غير قادر على الخروج من رسم الكتلة الجسدية كما كان يرسمها في مرحلته الريفية الهولندية.[3] واذا تأملنا لوحة «الأب تانغي» التي كانت واحدة من اللوحات الكثيرة التي رسمها فان جوخ في ذلك الحين، سنكتشف كم ان هذه اللوحة تمكنت من التعبير عن ذلك كله، أي عن المخاض الذي كان فن فان جوخ يعيش فيه، ساعياً الى الانطلاق في أبعاد جديدة لم يكن، بعد، قادراً على تلمّسها كلها بوضوح، وإن كان في عفوية فنية واضحة، عبرّ عنها في مختلف جزئيات هذه اللوحة. بالنسبة الى الأحجام التي اختارها فان جوخ للوحاته، تعتبر لوحة «الأب تانغي»(شكل رقم(26)) كبيرة نسبياً، اذ ان ارتفاعها يصل الى 65 سم، فيما يصل عرضها الى 51 سم. أما الأب تانغي فإنه، كما نلاحظ، يشغل واجهة اللوحة كلها مهيمناً مباشرة على عين الناظر اليها. ولئن كان فان

---

[1]- Van Gogh Museum,The letters ,المرجع السابق

[2]- ابراهيم العريس، فنسنت فان جوخ،المرجع السابق

[3]- قصة حياة فان جوخ، منتديات إنسان زمانه، متواجد في: http://ensan2.ba7r.org/t5008-topic

جوخ قد لوّن جسد تانغي وثيابه في كتلة، بنية وكحلية غامقة تذكّر مباشرة، من حيث ضخامتها وافتقارها الى التناسق ببعض لوحاته الريفية الهولندية من امثال «آكلو البطاطس»(شكل رقم(25))، فإنه حين رسم وجه صاحبه وقبعته انتقل الى أسلوب آخر تماماً، هو بالتحديد الإرهاص بأسلوب التنقيط الذي ستحمله لوحاته خلال السنوات التالية، بما في ذلك لوحاته الذاتية، وكذلك المشاهد الطبيعية التي ستأتي مكوّنة من نقاط لونية مدهشة.

(شكل رقم(26)): الأب تانجي،1887،زيت على قماش،مجموعة خاصة.

في هذه اللوحة «المبكرة» اذاً، اكتفى فان جوخ بتطبيق هذا الأسلوب في جزء من اللوحة، ما أقام تفاوتاً بين وجه الأب تانغي وجسده (أو بالأحرى كتلة ثيابه مضمومة اليها يداه الملونتان مثل سرواله في شكل يختلف عن تلوين الوجه والرأس). غير ان هذا التفاوت يظل بسيطاً وثانوياً، مقارنة بالتفاوت بين جسم اللوحة الأساسي (صورة الأب تانغي في جلسته الفخمة المواجهة ذات النظرة المحايدة في تناقض مع احتفالية اللوحة ككل) والخلفية، ذلك ان خلفية اللوحة تتألف من جدار غطّي كله بلوحات يابانية. من الواضح هنا اننا في صدد لوحات وملصقات نقلها فان جوخ بنفسه عن لوحات الفن الياباني، حيث من الممكن على الفور التعرف في تلك اللوحات المعلقة - في متجر الأب تانغي، أو ربما في استوديو فان جوخ - على أعمال منقولة ومقتبسة تحمل توقيع هذا الأخير، ولسوف تعتبر لاحقاً مجرد تمارين خاضها الفنان سعياً للوصول الى أسلوب فني جديد، استفاد كثيراً من «الملوّنة» اليابانية، ومن تركيبات المشهد الطبيعي الياباني الكاشف غالباً عن علاقة حميمة بين الإنسان والطبيعة [1]. ولعل من المهم ان نلاحظ هنا كيف ان فان جوخ، ربما عن تعمّد او في شكل عفوي، جعل للوحتين، (وهما بورتريهات لشخصيتين يابانيتين، احداهما عند كتف الأب تانغي اليمنى، والثانية من اسفل اللوحة عند فخذه اليسرى)، مكانة مندفعة الى الأمام، وكأن الشخصيتين تنافسان الشخص المرسوم على اثارة اهتمام المتفرج. هنا، حتى من دون ان يقصد ، تمكن فان جوخ من ان يرسم صورة للصراع بين أسلوبه المستقبلي وأسلوبه الماضي في الرسم والتلوين... غير انه لم يكتف بهذا، بحسب رأي بعض المتخصصين في فنه

[1]- المرجع السابق

والدارسين لحياته، بل انه، اذ رسم بركاناً متفجراً في لوحة تعلو رأس الأب تانغي، كان يبتغي على الأرجح ان يعلق - بطريقته الخاصة - على حياة صديقه تاجر اللوحات، الزوجية المتفجرة... اذ كان معروفاً ان زوجة الأب تانغي لم تكن تنظر بعين الرضى الى زوجها وهو ينفق أمواله على رسامين ناشئين لم يكن في إمكان أحد ان يتنبأ بأي مستقبل فني او مادي لهم .[1]

رحلة ارل(فبراير 1888 - مايو 1889) و التأثيرات الوحشية

كل الأشياء تغدو باردة وباهتة بعدما يطؤها الزمن.. ماذا أصنع؟ أريد أن أبتكر خطوطاً وألواناً جديدة،غير تلك التي يتعثر بصرنا بها كل يوم..."فان جوخ[2]

غادر فان جوخ من باريس إلى بلدة آرل الجنوبية المشمسة عام 1888 و عاش منزوياً من جديد مركزاً اهتمامه على رسم مناظرها الطبيعية و سكانها مستخدما اللون كما لم يستخدمه فنان بهذه الغزارة و التدفق و كتب لأخيه يقول:"بدلاً من أن أنقل ما هو أمام عينى أجدنى استخدم اللون استخداماً جائراً حتى أعبر عن نفسى بقوة أشد " و اندفع فى شغف و بقدر من العاطفة المتأججة ساعياً لتحقيق ما أسماه تزاوج الشكل و اللون فى مهمة البحث عن الداخل لا الخارج ، فحين يصور الشمس يحاول الوصول إلى الإحساس بالدفء و الوهج ...و حين يصور شخص فهو يريد الوصول إلى أعماقه ليصورها ، و فى غمرة نشوته بالتحرر من الذات صور كل شىء تقع

عليه عينيه.. صور الطبيعة فى الخلاء و فى قيظ الشمس وغطت لوحاته بغلالة صفراء فوارة لم يستطع أن يتحرر منها و كتب لأخيه يصف له إلى أى مدى وصلت علاقته بالطبيعة قائلاً ": قد تحدثت إلى الطبيعة فوضعت ما حدثتنى به بإيجاز على مسطح اللوحة و رغم ما لم يستطع التفوه به فإنه من المؤكد أن تعثر فى عملى على شىء ما مما باحت لى به الغابة أو الشاطىء أو الشكل رغم اللغة غير مألوفة "و بدأ اللون الأزرق ينسحب على رسوم المناظر البحرية و المشاهد الليلية والأصفر ينعكس على لوحات نثر الحبوب و الأزهار، و قد أعطى كل لون مغزى و مدلول عاطفى خاص وأسرع إلى أخيه يقول: "لقد أصبحت ملوناً مستبداً."[3]

"في "أرل" عام 1888 أنتج أول لوحاته الوحشية من خلال ضربات فرشاه واسعة كبيرة و أصباغ لونية مهشمة وقد شعر خلال ذلك أنه "لم يعد قادراً على السيطرة على نفسه"، وأنه أصبح واقعاً تحت "رحمة قوى آلية" لا يدرك طبيعتها، كان التعب و الجوع قد أنشبا أظفارهما في كيانه ووجدانه، ولولا مساعدات كانت تصله من أخيه "ثيو" لما استطاع أن يستمر في الحياة، وقد كتب يقول لأخيه في هذه الفترة: "كلما زاد مقدار القبح والشر و الوهن والفقر الذي أعانيه،ازدادت لدي الرغبة في الأنتقام من ذلك كله برسم لوحات ذات ألوان براقة،شديدة التناسق والتنظيم و اللمعان أيضاً" [4]

---

[1]- فنسنت فان جوخ، ويكيبديا الموسوعة الحرى، متواجد في:
فينسنت فان غوخ/http://ar.wikipedia.org/wiki

[2]- Van Gogh Museum,The letters, متواجد في http://vangoghletters.org/vg/letters.html

[3]- فاطمةعلى،فان جوخ،سلسلة الفن العالمي،قطاع الثقافة، دار أخبار اليوم.

[4]-المرجع السابق،ص477

"فى قلب المأساة ثمة خطوط من البهجة أريد لألوانى أن تظهرها، فى حقول «الغربان» وسنابل القمح بأعناقها الملوية، وحتى (حذاء الفلاح) الذى يرشح بؤساً.. ثمة فرح ما أريد أن أقبض عليه بواسطة اللون والحركة، للأشياء القبيحة خصوصية فنية قد لا نجدها فى الأشياء الجميلة وعين الفنان لا تخطئ ذلك..."فان جوخ[1]

"تمنح ضربات الفرشاة المتكسرة و الألوان المتوهجة اللامعة فان جوخ، و تضفي على ملاحظاته للطبيعة حافة أو نهاية هلوسية..فعندما رسم لوحة**"ليلة في مقهى في مدينة أرلز"** (شكل رقم(27))عام 1888 بوصفها مكانا يمكن أن يدمر الإنسان فيه نفسه، أو يصبح مجنونا، أو يرتكب جريمة، أشبه بآتون (موقد نار) للشيطان.

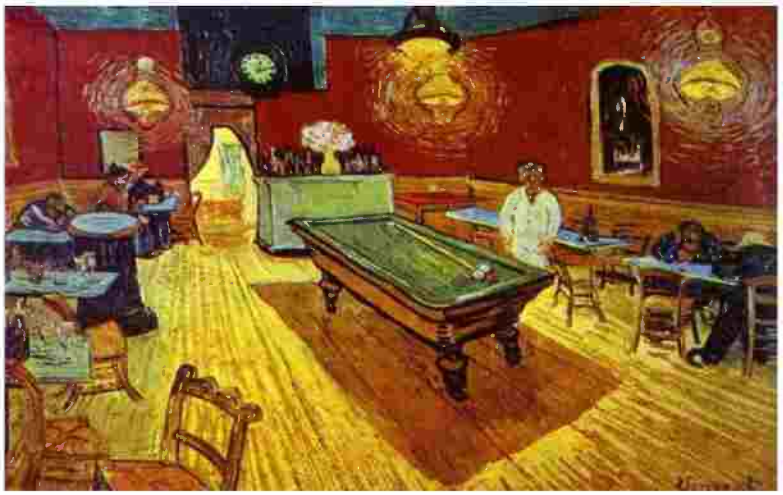

(شكل رقم(27)):فنسنت فان جوخ، "ليلة في المقهى الليلي"، سبتمبر 1888، زيت على قماش، جاليري الفن جامعة يال،الولايات المتحدة الأمريكية

حيث قوة الظلام هي المتحكمة فإنه، كما قال هيرسل تشب H.CHIP كان قد فقد قدرته على التمييز بين الواقع الملاحظ و التمثيلات الهلوسية، ولم يعد كذلك، مهتما بأن يقوم بمثل هذا التمييز... لقد أسقط مخاوفه الخاصة المتعلقة بتدميره لنفسه، أو المتعلقة بطريقه إلى الجنون، أو أن يرتكب جريمة، على هذه المقهى، التي فقدت الآن واقعها الموضوعي الخاص بالنسبه إليه؛ حيث أصبح ذلك المكان مشحوناً بالجنون و الهلوسة هي نوع من التحريض أو الأثارة أو الغضب الموضوعي وكذلك التحرر أو البوح و الإلهام الذاتي."[2] نفس هذه الألوان المكملة التى أراد بها أن يحقق حالة من العاطفة بتقارب بين الألوان نراه و قد استغلها بشكل مغاير و ذلك عندما رسم " **المقهى الليلى(شكل رقم(27))**"و ذلك بعد لوحته الشهيرة " **الفلاح ينثر الحبوب مع الغروب(شكل رقم(28))** بشهرين و لكن كان هناك فرق شاسع بين انطلاقة الفنان الفرح بالطبيعة و ما وهبه لها من انطلاق لونى بديع و بين لوحته هذه التى هى رمز إلى الحالة الإنسانية فى وحدتها ووحشتها و اغترابها، و قد استخدم الأخضر الباهت و المائل للصفره و المائل للزرقه مما أعطى إيحاءاً قوياً بالعتاقة الوجدانية ، كما أنه أكسب المكان بعداً درامياً معبراً عن انحصاره تعبيراً عن انطباق الجدران عليه أو الكون بأسره ، و ذلك يعبر عن الهدوء الحاد فى أقصى درجات حدته ووحشيته . و فى هذا كتب لأخيه " : حاولت التعبير عن انفعالات الإنسان و الرهبة التى تنتابه بتصوير المقهى الذى يؤدى بالمرء إلى تدمير نفسه فيندفع لإرتكاب جريمة" .

---

[1]-Van Gogh Museum,The letters, المرجع السابق

[2]-شاكر عبد الحميد(2010)،المرجع السابق،ص477

(شكل رقم(28)): فنسنت فان جوخ، نوفمبر1888 ، زيت على قماش، مؤسسة أي.جي زيورخ، سويسرا.

و كذلك فى لوحته **" خارج المقهى 1888 "(شكل رقم(29))** فنجد أيضاً السماء المزدانة بالنجوم و قد كادت أن تنطبق على المساكن الليلية التى ظهرت سوداء أمام السماء الزرقاء الداكنة و أسفلها بعض المارة يمرون أمام المقهى فى صمت مطبق. فى 1888 أنجز العديد من لوحاته الشخصية الشهيرة بسماتها الخاصة التى انفردت بها حاملة كل مميزات شخصيته المتوترة الزائغة أو المستسلمة العينين و المطبقة الشفتين و تكشف عن معاناه بدأت تظهر على الوجه المتألم فى صمت ... فأنجز فى هذا العام ثمانية بورتريهات شخصية له ... و رسم عدة لوحات لجذوع الأشجار المائلة أو على وشك السقوط و أسفلها يمر فلاح ينثر الحب.. أو جذوع أشجار شبه ميته تشابكت فروعها الخشبية الرفيعة الغير مخضرة أو مزهرة [1].

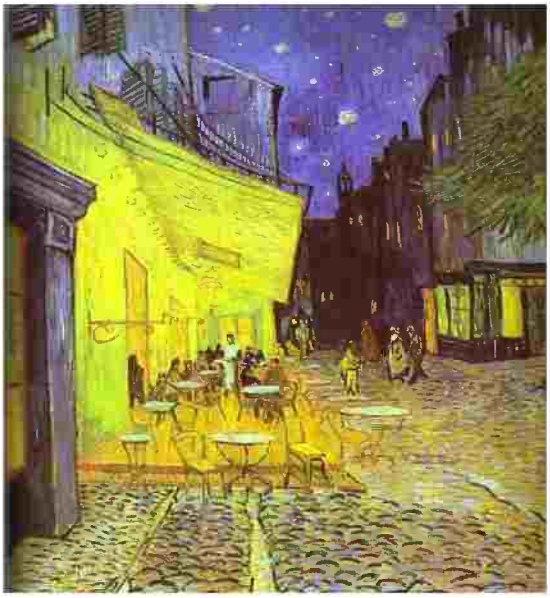

(شكا رقم(29)):فنسنت فان جوخ، خارج المقهى، سبتمبر 1888، زيت على قماش، متحف ريجكس، هولندا.

[1]- فاطمةعلى،المرجع السابق

وفى ديسمبر 1888 رسم فان جوخ **كرسييه الشهيرا** ... أحدهما ، **كرسى فوقه شمعة مشتعلة(شكل رقم(30))** نجد جدار الغرفة معلق عليه مصباح مضاء و رغم هذة الإضاءة إلا أن المشهد لا يوحى بالبهجة.

(شكل رقم(30)): فنسنت فان جوخ، كرسي جوجان فوقه شمعة و كتاب، 1888، زيت على قماش، الجليري الدولي، لندن

حادثة قطع الأذن و أثره على تجربة الفنان (فبراير 1888 - مايو 1889)

" اليوم رسمت صورتى الشخصية.. ففى كل صباح، عندما أنظر إلى المرآة أقول لنفسى: أيها الوجه المكرر، يا وجه فنسنت فان جوخ القبيح، لماذا لا تتجدد؟ أبصق فى المرآة وأخرج، واليوم قمت بتشكيل وجهي من جديد، لا كما أرادته الطبيعة، بل كما أريده أن يكون:(يقول عن بورتريه الشخصي) عينان ذئبتان بلا قرار. وجه أخضر ولحية كألسنة النار. كانت الأذن في اللوحة ناشزة لا حاجة بي إليها. أمسكت الريشة، أقصد موس الحلاقة وأزلتها.. يظهر أن الأمر اختلط علي، بين رأسي خارج اللوحة وداخلها... حسناً ماذا سأفعل بتلك الكتلة اللحمية؟[1]

أرسلتها إلى المرأة التي لم تعرف قيمتي وظننت أني أحبها.. لا بأس فلتجتمع الزوائد مع بعضها.. إليك أذني أيتها المرأة الثرثارة، تحدثي إليها... الآن أستطيع أن أسمع وأرى بأصابعي. بل أن إصبعي السادس "الريشة" لتستطيع أكثر من ذلك: إنها ترقص وتداعب بشرة اللوحة...فان جوخ"[2]

[1]-- Van Gogh Museum,The letters, المرجع السابق

[2]-- Van Gogh Museum,The letters, المرجع السابق

... بعد هذه الحادثة مباشرة دخل مستشفى الأمراض العقلية فى" آرل ... Arles" و بعد أيام رسم لنفسه لوحتين و قد أحاط بالرباط الأبيض أذنيه و رأسه ليغطى الأذن المقطوعة ... و إحدى اللوحتين **يبدو فيها و هو ممسك بفمه غليون (شكل رقم (31))و الأخرى بدون غليون موجودة فى لندن(شكل رقم(32))** [1]

(شكل رقم(31)):فنسنت فان جوخ، بورتريه شخصي بفمه غاليون، ديسمبر 1888زيت على قماش، مجموعة خاصة.

(شكل رقم(32)):بورترية شخصي بضمادات الأذن، يناير 1889، زيت على قماش، جاليري مهد كورتولد،لندن.

و من داخل المستشفى رسم **ثلاث لوحات لعباد الشمس(شكل رقم(33))** بإحساس و تكوين مختلف و تنبض لوحاته الثلاث بالحيوية و كثافة اللون فى حرية..

(شكل رقم(33)): فنسنت فان جوخن، اثنا عشر عباد شمس، اغسطس 1888، زيت على قماش، ميونخ المانيا

[1]- مصطفى يحيى(1993)،ص14

و " رسم لوحة **للطبيب" راى "** (شكل رقم(34))الذى عالجه و رسم الطبيب ذو ظلال أسفل عينيه خضراء و فم بنفسجى و عنق أحمر.

(شكل رقم(34)):فنسنت فان جوخ بورترية الطبيب راي، زيت على قماش، متحف بوشكن للفنون الجميلة، موسكو، روسيا

بعد ثلاثة أيام ساد اعتقاد بأنه شفي من مرضه و من ثم غادر المستشفى في السابع من يناير عام 1889 وفي ذلك اليوم كتب أيضاً يقول "لدى أمل بأن ما جرى لي هو مجرد نوبة من نوبات الفن، فقط مجرد ارتفاع في درجة الحمى" وفي نهاية الشهر نفسه كتب يقول "لقد توقفت هذه الهلاوس التي لا تحتمل، وتناقصت بحيث أصبحت مجرد "كابوس بسيط" ربما بسبب تناولي لبروميد البوتاسيوم، كما أعتقد". و قد قيل إنه كان يكثر من تناول شراب الأبسنت وهو من الكحوليات التي تؤدي إلى ظهور هلاوس بصرية وهتر ونوبات انهيار جسدي و عقلي.[1]

قد لخص الباحث "وليم رونيان" تفسيرات قطع أذن فان جوخ في دراسة له بعنوان "المرجع في القياس التاريخي (1985) و منها:

1- ذكر جوجان أنه قبل يوم من قطع فان جوخ لأذنه أنه هدده بموس و لكن تحت تأثير نظرته الحادة إليه تراجع و هرب وقد ذكر جوجان أن فان جوخ كان يكره أباه و أنه حوله كراهيته نحوه كرمز للسلطة و السيطرة التي كان يكرهها

2- يقول التفسير التالي إن فان جوخ كان واقعا تحت تأثير الإحباط بسبب حدثين هما: خطبة أخيه "ثيو" و استعداده للزواج- وقد كان فان جوخ شديد الأعتماد عليه في حياته- وكذلك فشله في إقامة حياة عملية و إنسانية طيبة مع جوجان و أن الأندفعات العدوانية التي آثارها هذان الحدثان قد تحولا أولا نحو جوجان ثم نحو نفسه.

[1]-يوسف ميخائيل أسعد(1986)، سيكولوجيا الإبداع في الفن و الأدب،المرجع السابق،ص277:278

3- أن فان جوخ كان شديد التأثر بمصارعة الثيران التي شاهدها في أرلز في جنوب فرنسا، وفي تلك اللعبة يعطي المصارع (الماتادور) أذن الثور الذي يقتله كمكافأة، ثم أنه يعرض جائزته تلك على الجمهور ثم يعطيها لسيدة يختارها لقد كان فان جوخ خلال أزمنة ثوراً مقتولاً ومصارعاً منتصراً، و خلال إضطرابه قدم إذنه لسيدة اختارها، أياً كان سلوكها.

4- يقال أن والدة فان جوخ كانت تنظر إليه بوصفه ولداً سيئ فظ الطباع و من ثم فإنه من خلال بعض العمليات الرمزية الذهانية لتي أحاطت بتلك الحادثة أراد أن يقول لها، و لغيرها، إنه إنسان بائس، لا حول له و لا قوة، ليس عدوانياً، ضحية و عرضه للأذى حتى من نفسه أيضاً.

5- ربما كان فان جوخ يعاني من هلاوس سمعية خاصة خلال النوبات الذهانية(المرضية العقلية) التي كانت تهاجمه، وقد كتب بعد ذلك – عندما كان في المصحة – أن بعض المرضى المحيطين به كانوا يسمعون أصواتاً غريبة، و قال أيضاً إن ذلك ربما راجعاً إلى أعطاب و أمراض في الأعصاب السمعية و عندما مر "فان جوخ" نفسه بهذه الخبرات الهلوسية فربما كان قد اعتقد أنه بقطعه هذه الأذن يتحرر من تأثيرات هذه الهلاوس الغريبة و المخيفة عليه و من سيطرتها. [1]

الفن مصاحباً لإنتكاسات المرض (سانت ريمي(مايو 1889 - مايو 1890))

"الفكرة تلح علي كثيراً فهل أستطيع ألا أفعل؟ كامن في زهرة عباد الشمس، أيها اللون الأصفر يا أنا. أمتص من شعاع هذا الكوكب البهيج. أحدق وأحدق في عين الشمس حيث روح الكون حتى تحرقني عيناي..."فان جوخ

"أمس، رسمت زهوراً بلون الطين بعدما زرعت نفسى فى التراب، وكانت السنابل خضراء وصفراء تنمو على مساحة رأسى، وغربان الذاكرة تطير بلا هواء، سنابل قمح وغربان، غربان وقمح، الغربان تنقر فى دماغى، كل شىء حلم، هباء أحلام، وريشة التراب تخدعنا فى كل حين، قريباً سأعيد أمانة التراب، وأطلق العصفور من صدرى نحو بلاد الشمس، سأفتح لك القفص بهذا المسدس، القرمزى يسيل، دم أم النار؟..."فان جوخ[2]

...فى إبريل 1889 تخللت حياة" فان جوخ "سلسلة مريرة من الإنتكاسات بعضها أشد وطأه و أثر أقسى من الآخر و كان يعنى من حالة صرع تتكرر زادها حدة و قسوة إهمال" فان جوخ "و الظروف السيئة التى أحاطته ...و من شباك غرفته المعزولة بالمستشفى **رسم أشجار شائكة بلا هوية و لا معالم ... و نباتات أرضية نبتت فجأه متوحشة و كأنها نباتات شيطانية ... و على الجانب الآخر من هذا الإحساس يرسم لوحة " الهدهدة " (شكل رقم (35))** مصوراً فيها السيده" رولان Lullaby 1889,Portrait of Madame

[1]-شاكر عبد الحميد(2010)،المرجع السابق،ص486:485:484

[2]-Van Gogh Museum,The letters المرجع السابق

(Roulin) تهز مهداً وقد مثلت هذه اللوحة شكلاً بدائياً للأمومة يهفو إليه" فان جوخ "و عاودته نوبة الصرع الهيستيرى بعد ذلك و انهارت قواه العقلية و ذهب إليه المصور " سينياك. " [1]

(شكل رقم(35)): فنسنت فان جوخ، الهدهدة(بورترية السيدة رولان)،يناير 1889، زيت على قماش،متحف ريجسكس،هولندا.

فى مايو 1889 اضطر" فان جوخ "إلى الإنتقال إلى مصحة" سانت ريمى "حيث مكث فيها عام كامل ....و ينتهى بذلك مرحلة" آرل "الفنية , أكثر مراحله ازدهاراً و أكثر ذاتية و أصالة و تعبيرية لما كان يتصارع داخله ما بين حالات التعبير الفنى و حالات التنفيس النفسى.

رغم حالته السيئة فى المصحة لم يترك يوماً ألوانه و لا فرشاته و فى نفس شهر دخوله إلى مصحة" سانت ريمى "**رسم لوحتين لمدخل المصحة من الداخل (شكل رقم(36)) و الممر (شكل رقم(37))**

(شكل رقم(36)): مدخل مصحة سانت ريمي، 1889، زيت على قماش، مؤسسة فان جوخ، هولندا

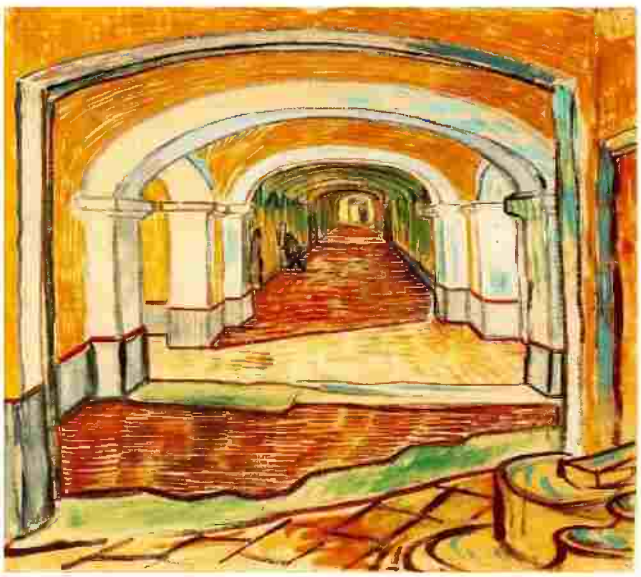

(شكل رقم(37)): ممر مصحة سانت ريمي، 1889، زيت على ورق مقوى، متحف متروبوليتان للفنون، الولايات المتحدة الأمريكية

[1]- فاطمةعلى،المرجع السابق

ما يميزه من أقبية كئيبة دون ملامح لأى تواجد انسانى فى اللوحة .... و رسم الأرضية و كأنها فى تصارع مع الجدران تجاه عمق المدخل.[1] و من شباك غرفته بالمصحة رسم أيضاً لوحته البديعة " **أزهار الأيريس(شكل رقم(38))** "و قد رسم زهورها باللون الأزرق المكتوم كزهور حزينة شيطانية و رسم الأرضية حمراء و قد خرجت منها سيقان

(شكل رقم(38)): فنسنت فان جوخ،أزهار الأيريس، مايو 1889، زيت على قماش، متحف جي بول جيتي، الولايات المتحدة الأمريكية

النبات الحامل للزهور متشنجة ملتوية فى عنف درامى و كأنها تتصارع لتخرج نفسها من ظلمة التربة إلى النور. و من خلال آلامه و صراعه مع نوبات الصرع صور لوحتين " **المصحة فى الخريف (شكل رقم (39))**

(شكل رقم (39)): فنسنت فان جوخ، المصحة في الخريف،1889،زيت على قماش، مجموعة خاصة

[1]- ابراهيم العريس، فنسنت فان جوخ،المرجع السابق

و " **شجرتي سرو شكل رقم (40))** " هذه اللوحة الأخيرة التى تشبه ألسنة اللهب فى تصاعدها العشوائى و صور مناظر أخرى ذات احساس عصبى محموم مثل شموس تدور ذات ايقاعات حادة و احساس غامض و أشجاره أصبحت حادة ملتوية شامخة مثل المسلات المصرية [1].

(شكل رقم(40)): فنسنت فان جوخ، شجرتي سرو(سان ريمي)،يونيو 1889، زيت على قماش، متحف المتروبوليتان للفنون، الولايات المتحدة الأمريكية

اما **لوحة "حقول القمح"(شكل رقم (41))** صورها من خلال قضبان نافذته بإحساس دفين بالمرارة و سرعان ما ساءت حالته و انعكست حالة متزايدة من اليأس و الإكتئاب على لوحاته...

(شكل رقم(41)): فنسنت فان جوخ، حقول القمح و شجرة سرو (سان ريمي)،يونيو 1889، زيت على توال، ناروندي جالري، براج، الجمهورية التشيكية

[1]- فاطمةعلى،المرجع السابق

فرسم نفسه **فى ثلاث لوحات شخصية احداهما** و هو ممسك باليتة ألوانه و الفرشاه**(شكل رقم (42))** و ينظر إلينا بعين زائغة و كأنه يظهر لنا أن طوق نجاته فى أدواته [1].

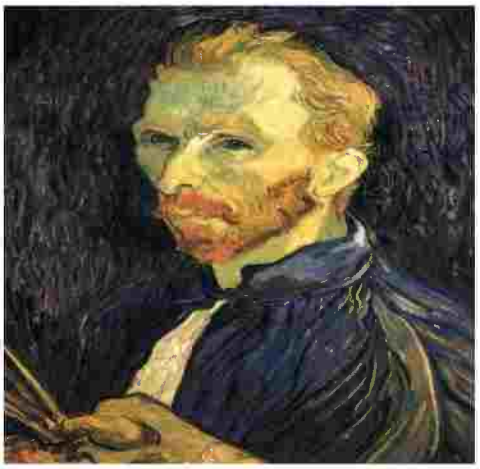

(شكل رقم(42)): بورتريه فنسنت فان جوخ،1889،زيت على قماش، الجاليري الدولي للفنون، واشنطون

و فى المصحة رسم **لوحة " الحاصد (شكل رقم (43)) 1889 "**التى لوتأملناها نجده و قد رأى شخصية الفلاح الحاصد بمنجله لعيدان القمح و كأنه حاصد الموت فى لوحه ساعد اتساعها فى الأفق على الإحساس بالوحشة. لم يعد" فان جوخ "يملك الإيمان بمستقبله الفنى و أثر هذا عليه مسبباً انتكاسة شديدة فكتب لأخيه يقول " منذ أيام و أنا أعانى من تفاقم مرضى غير أننى أصارع مع المرض قماشة لوحتى فى صورة " الحاصد " التى .. غمرتها كلها ، بطلاء أصفر كثيف و رغم بساطة المشهد إلا أننى أرى ذلك الحاصد تحت وهج حرارة الشمس و كأنه شبحاً غامضاً يقاتل كالشيطان لإنجاز مهمته فيرى لى صورة الموت و بدت لى سيقان القمح التى يجمعها بمنجله كأنها بشراً و لا أعرف كيف خرج هذا الحاصد الشيطانى إلى الوجود لكنه أتى على النقيض ممن أردت

(شكل رقم(43): الحاصد، 1889، زيت على قماش، مؤسسة فان جوخ، هولندا.

[1]- مصطفى يحيى(1993)،ص15

رسمه من قبل،و يثيرنى أن صورة الموت هذه تمضى فى خطواتها الواثقة دون أى مظهر من مظاهر الحزن ، ماضيه فى جرأه فى وضح النهار تحت ضوء الشمس الذهبى الذى يغمر الأشياء جميعاً." و مما أساء و دهور فى حالته النفسية احساسه الأليم بعدم قدرته على الخروج من المصحة لرسم موضوعات و مشاهد جديدة تنفس عما يعتل فى نفسه من شعور بالوحدة و الإكتئاب ... كما أنه لم يرضى أن يتخذ من رفقائه مرضى المصحة نماذج لرسمه إشفاقاً على مشاعرهم فلجأ إلى الذاكرة لرسم لوحاته الهامة التى ذكرناها قبلاً فى مقابلة مع لوحته "المقهى الليلى" وهى لوحة " **غرفة نوم فى البيت الأصفر فى" آرل"(شكل رقم(44))** " و قد رسمها حنيناً إلى غرفة نومه الخاصة و التماساً للعون فى أيامه السابقة فى" آرل"[1]

(شكل رقم(44)): غرفة نوم فى البيت الأصفر فى آرل،1889،زيت على قماش، معهد شبكاغو للفنون، الولايات المتحدة الأمريكية.

. كما رسم لوحات بالأبيض و الأسود بوحى لما رسمه فنانين آخرين يعجب بهم فرسم لوحات نظيره من وحى بعض أعمال" ميليه "و" ديلاكرواه "و لونها بما يصلح لها ... فرسم فى اكتوبر لوحة " **السهرة (شكل رقم(45))** "و ظهر فيها أسرة قروية جالسة مكونة من رجل و زوجته و طفلهما الصغير داخل سريره بالمساء و قد اعتمدوا على مصباح غاز ليضيء جلستهم ... و قد استوحاها فان جوخ من لوحة " **الساهرة " "لميليه" Jean-Francois Millet (1814-1875) (شكل رقم(46))** و نقلها بمفهومه إلى عصره و رؤيته الخاصة و قد قادت لوحات" ميليه " "فان جوخ "إلى اكتشاف تركيبات لونية جديدة و غريبة و أكثر إثارة فى الألوان التى استخدمها فى" آرل ... "فصارت الألوان فى لوحاته مكتومه غير ناصعة ... قاتمة أو منكسرة مما زاد من دراميتها .. و غالباً ما كونت احساساً متواتراً مع الأبيض فبدت ما بين الشفافية و الإعتام ..و ظهر على سطح لوحاته الأصفر الباهت المخضر و الأزرق الليلى القاتم و الوردى الشاحب. قد بلغ قمة تعبيره الفنى فى هذه اللوحات المليئة بالصراع الدرامى و أيضاً بالحيوية و الجاذبية الطاغية و كان يعمل بغزارة و حيوية مدهشة رغم آلامه المتزايدة. [2]

---

[1]- فاطمةعلى،المرجع السابق

[2]- فنسنت فان جوخ، ويكيبديا الموسوعة الحرى، متواجد في: فينسنت_فان_غوخ/http://ar.wikipedia.org/wiki

(شكل رقم(45)):فنسنت فان جوخ، السهرة، 1889، زيت على قماش، متحف فان جوخ،امستردام،هولندا.

(شكل رقم(46)): الساهرة (ميليه)،1870/72، زيت على قماش، مجموعة فريك، نيو يورك.

فى هذه المرحلة أرسل لأخيه" ثيو "قائلاً " : عملى هو طوق نجاتى الوحيد الذى ينتشلنى من الحضيض الذى يودى بى إلى قدرى المحتوم ... إنه ملاذى و خلاصى " و فى فبراير 1890 رسم لوحتين عن **" السجناء(شكل رقم (47))** " رسم فى إحداهما مشهداً لفناء ضيق فى سجن عالى الأسوار و يدور فى الفناء عدد من المسجونين ذو ظهور منحنية و أرجلهم بها أغلال ، مغلولين و كأنهم منذ الأبد يدورون هكذا دون تذمر استسلاماً لقدرهم غير أن أحد هؤلاء المسجونين هو الفنان نفسه و قد بدت عليه ملامح ثورة مكتومة [1].

(شكل رقم(47)):فنسنت فان جوخ، السجناء،1890، زيت على قماش، متحف باشكن للفنون الجميلة، موسكو، روسيا

فينسنت فان غوخ/http://ar.wikipedia.org/wiki

[1]- ابراهيم العريس، فينسنت فان جوخ، المعرفة،/ http://www.marefa.org/index.php

و عن لوحتى السجناء كتب لأخيه " إنها صرخة ألم آتية من أعماقى " و فى لحظات يأس و صراع مع نوبات صرع اجتاحته يكتب" لثيو " "أشعر شعور قاطع بأن حياتى فاشله لذلك أعانى بصورة لا تصدق و بشكل دفين ...مما يجعلنى أبحث فى مواجهة عذابى عن وسائل دفاع شتى ... كالدين و العمل و الخبز و الفن .. و الآن أهب نفسى طواعية للرسم بشكل يتزايد كلما تزايد احساسى بأننى مهدد و أننى سأواجه بنوبة مقبله لن تبقى منى شىء." [1] و قد رسم بذات الإحساس القاسى المحموم و هو فى قمة آلامه **النجوم متلألئة(شكل رقم(48))** ذات ايقاعات دواره بلا نهاية بإحساس غامض عدمى ... و الأشجار ملتوية مرعبة ... و حقول قمح ثائرة... [2]

(شكل رقم(48)): فنسنت فان جوخ، ليلة متلألئة النجوم، يونيو 1889،زيت على قماش، تحف الفن الحديث، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية

وصور نفسه **صورة ذاتيه(شكل رقم(49))** داخل مصحة" سانت ريمى "للمرة الأخيرة و بدا فيها كم معاناته مع صراعته ووحدته و حطامه الكاشف عما يدور بداخله من معركة قاسية ... و فى عزلته فى مصحة" سانت ريمى "التى ازدادت عليه الوحدة و الخوف نصحه أخوه ثيو بالذهاب إلى الطبيب النفسى دكتور" جاشيه "فى "أوفير سيرواز "خاصة و الدكتور" جاشيب "معروف بصداقته مع الفنانين[3].

(شكل رقم(49)): فنسنت فان جوخ، بورترية شخصي من داخل المصحة،سبتمبر 1889، زيت على قماش، متحف أورساي، باريس، فرنسا.

[1]- المرجع السابق

[2]- قصة حياة فان جوخ، منتديات إنسان زمانه، متواجد في: http://ensan2.ba7r.org/t5008-topic

[3]- المرجع السابق

و نزل فى فندق صغير فى أوفير و رسم **كنيسة أوفير (شكل رقم(50))**بإيقاعات عنيفة أمام سماء داكنة الزرقة و سطح الكنيسة ذو جانب احمر و الآخر برتقالى ووصل التوتر العصبى لديه إلى قمته

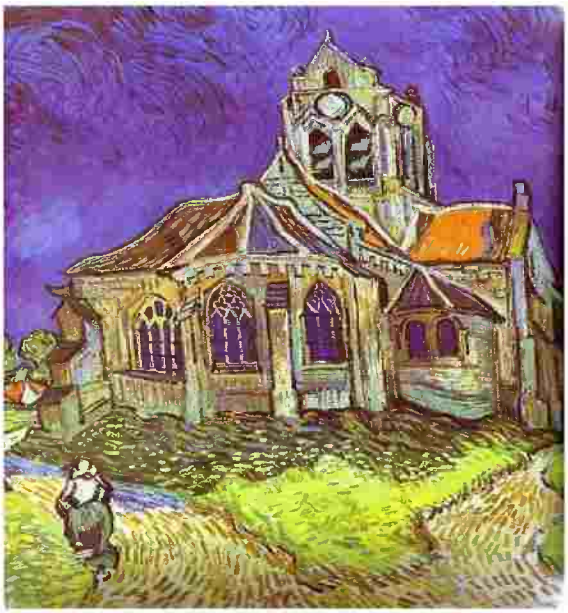

(شكل رقم (50)): فنسنت فان جوخ، كنيسة أوفير،يونيو 1890،زيت على قماش، متحف أورساي، باريس، فرنسا.

و صور **مبنى البلدية(شكل رقم(51))** فى الرابع عشر من يوليو سنة 1890 بلمسات مرتجة و خطوط ملتوية ذات نسب غريبة ممتدة إلى أعلى.

(شكل رقم(51)): فنسنت فان جوخ، مبنى البلدية ليلاً،1890، زيت على قماش، هميرتاج،روسيا.

"بشكل عام، عانى فان جوخ من اضطربات كثيرة كما كانت هناك أربع نوبات عنيفة و ثلاثأقل عنفا، كما ذكرنا حدثت كلها في أرلز و في مستشفى سان ريمي(باريس) و كان يشفى من معظمها خلال أسبوع أو أسبوعين لكن اثنتين منها استمرتا لشهرين، فقد كانت النوبات مفاجئة في ظهورها و بطيئة في اختفائها و كانت هذه النوبات عموما تتميز بأنها تبدأ بحالة من الهتر الحاد و الفقدان للتوجه المكاني و الزماني، مصحوبة بهلاوس سمعية و بصرية، و بارانويا فصامية أيضاً. كما كانت لديه ميول انتحارية، و كان يشرب زيت الترينتين و

الكيروسين و الألوان الزيتية أيضاً؛بحيث وجد المشرفون على رعايته ضرورة إبعاد أنابيب الألوان عنه أيضاً،وبحيث كان غير قادر في كثير من هذه النوبات على الرسم ، كما أنه كان يفقد القدرة على التعرف إلى الناس وكان يشعر بالدوار و الدوخة، وكانت هذه الحالة تستثار لديه بواسطة الأشياء المرتفعة ومن ثم كان يكره صعود السلالم أو غيرها من الأشياء التي تتطلب الصعود أو الأرتفاع غير أنه خلال السنة التي قضاها في مستشفى سان ريمي أنتج فان جوخ مئة و خمسين لوحة زيتية و مائة رسم بالأبيض و الأسود و عاش في مستشفى خاص ما بين مايو 1889و1890 و تم تشخيصة على أنه يعاني من الصرع، لكن آخرين اعتقدوا أنه كان فصامياً"[1]

العلاقة بين التجربة الفنية و بين الإضطرابات النفسية

"شيئان يحركان روحي،التحديق بالشمس، وفي الموت، أريد أن أسافر في النجوم وهذا البائس جسدي يعيقني متى سنمضي، نحن أبناء الأرض، حاملين مناديلنا المدماة،ولكن إلى أين،إلى الحلم طبعاً"فان جوخ[2]

إن النظر إلى لوحات" فان جوخ "و حسب التسلسل الزمنى يظهر بعض الصفات الملفتة للنظر ففى لوحة (**آكلو البطاطاس**)(**انظر شكل رقم(25)**)1885، لم يرسم الهالة حول المصباح و عندما ننظر إلى العمل الذى تلاه (**المقهى الليلى**)(**انظر شكل رقم(27)**) أيلول1888 و لوحة(**ليلة مكوكبة**)(**نجوم متلألئة**)(**انظر شكل رقم(48)**) فى 1889 و لوحة (**شجرة السرو**) (**شكل رقم (52)**) فى 1890 سنرى أن الهالات تبدو واضحة .

(شكل رقم(52)):فنسنت فان جوخ حقل القمح و شجرة سرو،يونيو 1889، زيت على قماش، مجموعة خاصة.

هذا العارض(وجود الهالات الصفراء) مسجل لدى المصابى بارتفاع ضغط العين . إن تقلص البؤبؤ فى العين الذى يريح المصاب بهذة الحالة يتطلب من فان جوخ البحث عن أماكن مضيئة .من غير الممكن معرفة تأثير ارتفاع ضغط العين على تدهور حالة الإبصار عند فان جوخ عند دراسة عمل الفرشاة للفنان" فان جوخ "و

[1]-شاكر عبد الحميد(2010)،الفن و الغرابة،المرجع السابق، ص479

[2]-Van Gogh Museum,The letters المرجع السابق

ضرباتها البارزه و التى أراد بها اظهار الحركة المتموجة نستنتج أن لديه خللاً فى الشبكية فى حال ما إذا كان هذا الأسلوب هو تعبير عما يراه الرسام فعلاً . و هذا يفترض وجود عارض متقدم لإنفصال الشبكية.

"قد دارت منقاشات كثيرة أيضا حول أسلوب فان جوخ الفني غير المألوف، و هذه الخطوط المتموجة، و كل هذه الألوان الصفراء(خاصة بعد عام 1886) وكيف يمكن أن يرتبط ذلك كله بجنونه المفترض. لقد كان يعاني فعلا من هلاوس بصرية وسمعية وقضى وقتا طويلا في المستشفى، لكن ذلك كله لا يفسر هذه اللوحات الجميلة غير العادية المتجاوزة للزمن الخاص. لقد تأثر بأعمال الفنانين السابقين عليه و المعاصرين له و و تأثر بالأعمال الطباعية و أعمال الحفر اليبانية و غيرها، لكنه أضاف إلى ذلك كله من روحه مذاقا خاصا ذا ألوان عجيبة و غريبة، لقد أعاد اكتشاف الشمس التي لم يكن لها وجود بارز أو مهم في اللوحات الفنية قبله."[1]

إذا كان الأمر كذلك ، فانتحار" فان جوخ "لم يكن بسبب الكآبة المفترضة فلا يوجد فى هذا الجانب ما يؤكد وجود نوبات فى الفترة التى سبقت الإنتحار و إنما كانت الخلفية فى حالة الإبصار التى كان يعانى منها و خصوصاً انفصال الشبكية . هذه الحالة التى استمرت فى التدهور إلى الحد الذى لم يعد قادراً على تأدية رسالته فى الحياة، الرسم، فكانت انطلاقة المسدس التى استهدفت قلبه النتيجة المنطقية.

"غليونى يشتعل، الأسود والأبيض يلونان الحياة بالرمادى، التبغ يحترق والحياة تتسرب، للرماد طعم مر، بالعادة نألفه، ثم ندمنه، كالحياة تماماً.. كلما تقدم العمر بنا غدونا أكثر تعلقاً بها، لأجل ذلك أغادرها فى أوج اشتعالى، ولكن لماذا؟.. إنه الإخفاق مرة أخرى. لن ينتهى البؤس أبداً، وداعاً يا ثيو، سأغادر نحو الربيع..."فان جوخ[2]

إن التقدير الذي نالته إبداعات فان جوخ عقب وفاته كان أمراً لافتا للأنتباه، لكنه كان بالتأكيد نابع من الأهتمام بالجوانب غير العادية لشخصيته، لاسيما حقيقة مرضه، الأمرالذي جعل من فان جوخ اسماً مألوفاً. تميزت حياته الصعبة بسنوات تخبط و شك مبكرة، و تخللتها علاقات غرامية فاشلة، و سلسلة أحداث مؤسفة تم فيها تشويه الذات. و جدير بالملاحظة أن المبدعين الذين هزوا العالم بأعمالهم غالباًما أحاطتبهم المشكلات النفسية و العقلية و كان ذلك موضوع تساؤل الرأي العام. أما في نطاق الفن المرئي، فإن المرء الذي كان يحرز تقدماًملحوظاً فإنه غالباً ما يظن أنه يعاني من طبيعة غير سوية، و كأنها ضرورة لتفسير كل ما يطرأ من جديد مبتدع. لكن فيما يختص بحالة فان جوخ فهناك بالضرورة مايكفي من أحداث غير مألوفة تدفعنا إلى التساؤل حول مدى سلامة قواه العقلية. و بفضل التأثير الفائق لهذا الفنان في الأجيال التالية، كانت هناك بعض المبررات الوافرة التي صاغتها الدراسات الجادة عما كان يعانيه من مشكلات صحية أثرت في حياته و أعماله على السواء.[3]

نظر بعين علم النفس إلى الخطابات المتبادلة مع أخيه و التى بلغت حوالى 652 خطاباً بالإضافة إلى حوالى 40خطاباً لأمه و معارفه ... و تعتبر هذه الخطابات ثروة أدبية و فنية ضخمه يصف فيها معاناته و تجاربه و

---

[1]-شاكر عبد الحميد(2010)،الفن و الغرابة،المرجع السابق،ص480

[2]-Van Gogh Museum,The letters المرجع السابق

[3]-The Illness of Vincent van Gogh, Wilfred Niels Arnold, Journal of the History of the Neurosciences, 2004 , Vol. 13, No. 1, p. 22

مواقفه الفنية بإبصار فذ تجاه عمله و مصدر رائع لأخذ الحقائق عن حياته فى مصدرها دون أى احتمال للإدعاء أو التخمين[1].

عن دراسة نفسيه نجد الرد لدى المؤرخ الفنى العالمى" رينيه ويج "فى كتابه " الفن و النور و اللوحات " مستشهداً فى كتابه بالمنظر الذى رآه فان جوخ من نافذته و رسمه بعد ذلك **عن حقل القمح المحاط بسور حجرى قديم(شكل رقم(53))** و قد جاء فى تحليل الناقد العالمى الذى يتفق مع مقولة " بيكون " بأن الفن هو الطبيعة مضافاً إليها الإنسان قائلاً" رينيه ويج " "لقد تحول فى لوحاته **السور** ببحث إلى دراما".[2]

(شكل رقم(53)): فنسنت فان جوخ، حقل قمح محاط بصور حجري قديم،مايو 1890، زيت على قماش، متحف ريجكس ، هولندا.

فالأرض أخذت فى التموج و أصابها تشنج و تبدو صريعة فزع داهم ... إنها تهرب . تعدو و تقفز فوق الجدار الصغير فى الداخل ... و هناك تأخذ الأشكال فى الإشتعال كالحريق ... فى الأعشاب و الأشجار التى صارت شبيهة باللهب .... و الجبال بدورها انضمت للعاصفة ، و بدت و كأنها تتماوج و الشدة الكامنة تنفجر فى الشمس ...فى أمواج الشمس التى تحترق العالم فى نفس الوقت الذى تمده بالحرارة و الحياة.

" فان جوخ "لا يقلد الطبيعة بل يضع نفسه فيها فازداد بروز الحركة فى الحقل الذى ليس حقل قمح كما يعنون غالباً ...بل هو حقل شعير ، هكذا ينبغى أن ندقق و قد تم الحصاد و جمعت الحزم فى شكل أكوام صغيرة ...و هذه الأكوام تهتز مثل أمواج العاصفة التى أثارتها نفس" فان جوخ" ... لقد ألقى بنا فى خضرة بحر هائج .... يزيد فى دوامه ... و أصبح العالم رهيباً رهبة المحيط فى غضبه... إن فزع العالم أصبح الآن متفجراً ... و الأرض الصغيرة هذا المربع من الحقل الذى كان أمامه ، قد أصبح عالماً ينزلق إلى الهاوية ... و الأرض تنهض ... و الأعشاب تمثلها قسمات متواثبة مثل سقوط مطر" الأنواء ... "و الجدار يزحف ... و يسعى للنجاه ...و للتعلق و القفز ... و لم تعد ثمَّ سماء ... و لا ضوء ...كل شىء يختنق و كل شىء يساقط و لم يبق غير الشمس الرهيبة التى ظلت فى زاويتها مستمرة فى الدوران و التهام العالم.

---

[1]- **Ibid p.22**

[2]- خالد جمال،الطب و أمراض المشاهير فان جوخ نموذجا، المرجع السابق

و هكذا نرى أن مخاوف" فان جوخ "و فزعه الباطن الذى انتابه الداء فاقتاده إلى الإنتحار و كيف أن نفس فان جوخ و عذابات فان جوخ تنتقل إلى مشاعرنا من خلال ما طبع به العالم من تحول في شخصيته. هذا التوضيح من" رينيه ويج "يبين كيف امتزج" فان جوخ "بالطبيعة و لم يعد يمكن التفريق بينهما فرسمها مضيفاً إليها معاناته أو من خلال معاناته ... فهذه الطبيعة فى لوحاته هى طبيعة" فان جوخ "النفسية و العصبية و قد امتزجت بطبيعة ما تراه عينيه . [1]

و عن رأى" فان جوخ "الأخير فى الفن و معاناته كفنان كتب لأخيه ثيو ": أنت تتحدث عن الفراغ الذى تشعر به أينما ذهبت و هذا هو بالضبط ما أشعر به . لنأخذ إن شئت الزمن الذى نحيا فيه كعصر نهضة عظيمةصادقة الفن .. فلا تزال دولة التقليد الرسمى حية تنخر و لكنها حقيقة واهنة مسلوبة الحرية .... و المصورون الجدد وحدهم فقراء ... يعاملوننا كالمجانين ... و بسبب هذه المعاملة أصبحت كذلك .. على الأقل بقدر ما يخص حياتهم الإجتماعية"

كان لتكوين شخصية "فان جوخ " أثر قوى على عمله الفنى و من جانب آخر ، لا توجد فى رسائله العديدة إلا اشارتين حول حالة عينية . فى الرسالة المؤرخة 16 أكتوبر 1888 الرسالة رقم 554 و التى كتبها لأخيه" ثيو" يقول : "مازالت عينى متعبه على أى حال" ، لقد عانى من عينيه طويلاً ، و فى رسالة بعث بها إلى صديقه "غوغان" (1903-1848) و المؤرخة 17 أكتوبر (أقول .. أكتب إليك مؤخراً عن الإرهاق الغريب فى عينى . حسناً لقد ارتحت ليومين و نصف ثم عدت إلى العمل مجدداً و لكنى لا أملك الجرأه على الخروج حينها لم يكون "فان جوخ" فى حالة صحية جيدة فى نفس الرسالة يضيف فى أحيان كثيرة لا أعرف ما أقوم به لأننى أعمل غالباً كالماشى فى نومه) . [2]

عندما كتب "فان جوخ "هذه الرسائل كان قد مضى على وجوده فى آرل 10 شهور فقط . لقد ذهب إلى هنالك كما أخبر أخته "ولمين" ليجد مزيداً من الألوان و الشمس المشرقة. طبقاً لشهادة الوفاه توفى" فنسنت فان جوخ "الرسام فى الساعة الواحدة و النصف صباحاً فى 29 أيار1890.. فى الرسالة المؤرخة 31 أيار كتب صديقه و زميله" برنارد "عن مشاهدته لمراسم الجنازة قائلاً : "ملاءة بيضاء بسيطة ألقيت على الكفن و كانت هناك مجاميع من أزهار الشمس التى اجلّها كثيراً و أزهار أخرى فى كل مكان ، من أجل ذلك كان لونه المفضل رمزاً للنور الذى حلم به فى قلبه كما فى لوحاته" .

عندما نربط بين هذه الرسالة و الرسالة التى كتبها" فان جوخ" فى 5 أو 6 سبتمبر (604) 1889 إلى أخيه" ثيو " و التى أطلق عليها عنوان (المزارع) يقول : "أنها صورة الموت كما يحدثنا عنها كتاب الطبيعة العظيم ، باستثناء التلال القرمزية العارية ، أنها صفراء تماماً ، اصفراراً أشقر ، شاحباً."

تعليق" برنارد "كان صحيحاً ، إذ كان" لفان جوخ "لون طاغ على كل لوحاته فهو بالتأكيد اللون الأصفر بكل تدرجاته اللونية ، فى رسائله أيضاً ذكر اللون الأصفر بتكرار ملفت للنظر ، لهذا السبب ، فإن قارىء رسائله لا يمكن أن يهمل تعليقه على عينيه المرهقة كما أن الذكر المتكرر للون الأصفر فى رسائله لم يعد متباعداً ، الحل للغز اللون الأصفر يكمن فى اللوحتين التى رسمهما فان جوخ لطبيبه" بول فردينانند كاخيت ."

---

[1]- المرجع السابق

[2]- فاطمةعلى،المرجع السابق

فى كلتا الحالتين كان الطبيب يحمل" النبتة القمعية (digitalis) "على أساس الحقيقة التى تشير إلى إصابة فان جوخ بالصرع ، لا غريب فى هذا الأمر ففى ذلك الوقت كانت هذة النبتة تستعمل فى علاج الصرع. وعلى مستوى حياتة الأسرية كانت علاقتة بعائلته ملتبسة، وكثيرا ما كان احتياجه الملح وطلبه الضاغط للمال يفتقر للكياسة بالشكل الذي هدد علاقته حتى بأخيه «ثيو» الذي كان يتسم بالصبر والتفهم له.

وكما الحال في حياته الشخصية فإنه كرسام كان يبدو كمن بحث عن الاكتئاب ليقع في براثنه! كان شغوفا بشدة بنمط الحياة الفقيرة غير المستقرة لعمال المناجم بما فيها من مرض واقتراب من الموت، وكثيراً ما عبّر عن إحساسه بأنه واحد منهم. ولعل اللوحة التي رسمها لطبيبه المعالج «د.جاشي» تجسد بدقة مدهشة الحزن والاكتئاب ممتزجين داخل المصحة[1] .

في عام 1889 وفي أثناء وجوده بمصحة «سان ريمى» التي دخلها بإرادته بعد تعرضه لنوبة ذهانية قام فيها بالحادثة المشهورة بقطع جزء من أذنه، مر فان جوخ بنوبات امتزج فيها الاكتئاب بالهوس، وهي فترات أوحت له بلوحات صور فيها المناظر الطبيعية مثل حقول القمح ، وأشجار السرو، والزيتون . ولكنه كان تصويرا مختلفا عن المألوف؛ فلوحة مثل «**حقل القمح والغربان**» **(شكل(54))** التي قد تكون آخر لوحاته المكتملة قبل انتحاره تصور السماء المتشحة بالرياح السوداء والحقول التي تعصف بها الرياح. «وكلها دلالات على الاكتئاب والهوس»[2]

(شكل رقم(54)): فنسنت فان جوخ، حقل القمح و الغربان، 1890، زيت على قماش، متحف فان جوخ، هولندا.

أما الغربان التي تطير بعيدا قد تكون رمزا للخطر الذي كان يستشعره أو لحالة فقدان الأمل. في حين أن الطرقات في اللوحة تمثل إشارة لحياتة السابقة، أوالمسارات البديلة التي كان يمكن أن يختارها في المراحل الصعبة في حياتة. في خطاب لأخيه ثيو بتاريخ 10 يوليو 1890، كتب فنسنت فان جوخ واصفا لوحته «الحقول»: "انها

[1]- إبراهيم العريس،فنسنت فان جوخ،المرجع السابق

[2]- فنسنت فان جوخ، ويكيبديا الموسوعة الحرى، المرجع السابق

حقول شاسعة من القمح تعلوها سماء مضطربة، ولكني لم اتعمد افتعال تصوير مشاعر الحزن والوحدة. سوف احضر لوحاتي الاخيرة معي الى باريس وتستطيع ان ترى بنفسك ما لا استطيع قوله لك بالكلمات"[1]

في المقابل تمثل لوحته الأشهر «**ليل ذات نجوم متلألئة**» **(انظر شكل رقم(48))** نموذجا مختلفا لما قد يبدو تأثير العلاج على أعماله الفنية. فهذه اللوحة رسمها من الذاكرة، بينما كان تحت تأثير العلاج في المصحة بعدتعرضه لنوبة ذهانية تثير الكثير من مشاعر التواؤم بين قوى خفية «في خياله القلق» وقوانين دورات الطبيعة اللانهائية[2].

الحقيقة أنه لن يتسنى لنا أبدا معرفة ما إذا كانت العلاجات الدوائية الحديثة أو العلاج النفسي المتاح اليوم بأنواعه لتؤثر في حياة وأعمال فان جوخ لو حظي بتلقيها.

في السابع والعشرين من يوليو أطلق فان جوخ على نفسه النار ليموت بعدها بيومين في التاسع والعشرين من يوليو 1890. و كان أخر ما قاله :"كم أود أن أموت الآن" لقد كان في السابعة و الثلاثين من عمره، لكنه أنجز خلال هذه السنوات القليلة و الزاخرة بالآلام و المعاناة الكثير من الأعمال الفنية الخالدة. وبعد موته كتب أخوه «ثيو» لأمه قائلا: «كانت الحياة ثقيلة جدا عليه».[3]

أهمية الخطابات الخاصة بفان جوخ في تفسير مرضه

أدرك ثيو فان جوخ "Theo Van-gogh"(1857-1891) مدى قيمة مراسلات فنسنت فان جوخ كونها مصدر ثري للجوانب الفنية و الإنسانية الخاصة بالفنان، ولم يبخل ثيو على أخيه فنسنت فان جوخ بالدعم النفسي و المادي في العشر سنوات الأخيرة من حياة الفنان.بعد وفاة ثيو بعام من إنتحار أخيه فنسنت فان جوخ. و قضت أرملة أخيه ثيو، جوانا فان جوخ بونجر"Johanna Van-gogh-Bonger" (1862-1925) حوالي أربع و عشرين سنة في فهم خطاباته و ترجمتها و ترتيبها، قبل أن تظهر على الملأ. قالت جوانا في المقدمة:" كان سيُظلم فنسنت فان جوخ[4] لونالت شخصيته قدراً من الأهتمام قبل أن يتم تسليط الضوء و منح التقدير اللازم للعمل الذي أعطاه حياته"(Van Gogh- Bonger,1978,XIII).

وصارت هذه الخطابات على مدى سنين كثر ذات أهمية بالغة في تاريخ دراسة فان جوخ. و قال فنسنت فان جوخ المهندس ابن ثيو فان جوخ : "إن الخطابات...لهي المصدر الأصيل الوحيد عن حياة فنسنت فان جوخ بما تحمله من تفاصيل"(Van Gogh,1978,XI).[5]

---

[1]- حقول القمح الصفراء ما زالت تجذب الأضواء، عبير مشخص، جريدة الشرق الأوسط، الاحد 12 رمضان 1428 هـ 23 سبتمبر 2007 العدد 10526

[2]- إبراهيم العريس، المرجع السابق

[3]- المرجع السابق

[4]- Color and Emotion , a Psychophysical Analysis of Van Gogh's Work, K. G. Bekker , A. Y. Bekker,Psyart, online - journal for the psychological study. http://www.psyartjournal.com/article/show/bekker-color_and_emotion_a_psychophysical_analy

[5]- Ibid , http://www.psyartjournal.com/article/show/bekker-color_and_emotion_a_psychophysical_analy

"إن الدافع الكبير المسيطر علي هو أن أتعلم كيفية تصوير عدم الأكتمال وليس الأكتمال..تصوير الأنحراف و التشوهات و تغيرات الواقع، بالدرجة التي يمكن أن تصبح عندها هذه الأشياء غير حقيقية في نظرالكثيرين، و بالنسبة إلى تكون أكثر حقيقة من الحقيقة الواقعية ذاتها .. إنني سأكون تعساً لو كانت لوحاتي صحيحة من الناحية الأكديمية"فنسنت فان جوخ.[1]

الفصام و الجدال حول تشخيص حالة "فان جوخ"

هناك الكثير من الجدال و الإختلاف حول تشخيص تلك النوبات التى كان الرسام العالمى" فان جوخ "يعانى منها : فبينما تكلم" ياسبرز "عن احتمال الفصام كتشخيص قائم ، عارض آخرون بوضوح هذا الإفتراض متعللين بأن رسومات و كتابات فان جوخ لا توحى بذلك . و اقترح آخرون" الصرع النفس حركي تفسيراً مقبولاً ، بينما عزى بعضهم نوبات القلق و التوتر التى كانت تعترى الفنان إلى سوء استخدام مادة" الإبسنت"[2].

مرض البيكا "Pica"

"كذلك قيل إن فان جوخ كان يعاني من البيكا Pica (أو النهم غير طبيعي للطعام)، وهو اضطراب عقلي يتسم بوجود دافع غلاب لدى صاحبه لأكل المواد غير الغذائية مثل الصبغات الملونة و الرمل و الأقلام و غيرها، وقد عرف عن فان جوخ كذلك أنه كان أحياناً ما يشرب الأصباغ اللونية التي تكون مخلوطة بالتربنتين و يشرب كذلك الكيروسين الذي كان يستخدمه في إنارة مصباحه، وكان يتناول أيضاً الكافور لعلاج الأرق، كما كان يأخذ مادة البروميد Bromide لتخفيف بعض الأعراض العصبية و الديجتياليس Digitalis لتخفيف أعراض الصرع، ويشرب السانتونين Santonin لعلاج اضطربات الهضم. والمعروف طبيا أنه عندما يتناول شخص الديجتياليس و السانتونين معاً، و بجرعة مضاعفة، فإنهما يسببان حالة تسمى زانتوبيا Xanthobia، أي الرؤية الصفراء Vision Yellow. وقد قيل إن فان جوخ كان يتعاطى كل شئ بجرعات مضاعفة ما عدا الغذاء الضروري، و إنه من المحتمل نتيجة لذلك، أن لوحاته الصفراء المشعة" هذه كانت تعكس التغيرات الكيميائية في المستقبلات العصبية الضوئية داخل شبكية عينه، وأن هذه الحالة ربما كانت تتحول و تزداد و كأنها تحت شمس آرلز و في ظل أشعتها المحرقة." [3]

مفهوم و علامات المناخوليا(المزاج السوداوى)فى رؤيه جاشيه

عَدَّ جاشيه المناخوليا (المزاج السوداوي) مرضاً من الممكن أن يصيب كل الأشياء الطبيعية بما فيها الحيوان و النبات و حتى الجماد . و من السمات التى ذكرها جاشيه لهذا المرض الآتى ": الميل إلى الأمام مع وضع

---

[1]- Van Gogh Museum,The letters المرجع السابق

[2]- خالد جمال: http://www.alarabimag.com/Article.asp?ART=5308&ID=5

[3]-شاكر عبد الحميد(2010)،المرجع السابق،ص480:481

الذراعين فى اتجاه الصدر مع قبض اليدين مع تنكيس الرأس على الصدر و إلى إحدى الجهتين ، مع ميل كل عضلات الجسم إلى الإنقباض خاصة العضلات الخاصة بالمقلتين ، مما يجعلهما تبدوان غائرتين ، و تبدو الحواجب بارزة مع وجود تجعيدات و ثنايا طويلة فيما بينهما ، و يبدو المنخفض ما بين الأنف و الفم أكثر وضوحاً مع اصفرار بالجلد و الميل إلى النظر للأرض و جدير بالذكر أن بعض هذه الأعراض و العلامات ما زالت لها أهمية فى تشخيص الإكتئاب ، كذلك التى ذكرها" بلويلر "فى كتابه ، و تعرف باسم" علامات فيراجوت "و تعنى أن يكون الثلث الداخلى للجفن لأعلى و للخلف ، بحيث يكون الجفنين ما يشبه" الزاوية." [1]

إذا تأملنا الصورة التى رسمها" فان جوخ **"للدكتور جاشيه " (انظرشكل رقم(36))**فسوف نجد الثنايا بين المقلتين مع عقد الحاجبين ، ووضوح المنخفض ما بين الأنف و الفم و ميل الرأس و الكتف للأمام.

و يشبه هذا الوصف إلى حد كبير ما سبق ذكره من أوصاف المزاج السوداوي ، و من المدهش أن يشبه أيضاً ما رسمه" فان جوخ "لنفسه"، مما يجعلنا نفكر فى أن صورة د .جاشيه التى رسمها" فان جوخ "لم تكن مجرد صورة تعبر عن تعاطفه مع جاشيه فقط ، و لكنها كانت تعبر عن" فان جوخ نفسه. و يلاحظ فى هذه الصورة أيضاً استخدام الألوان و الأدوات المعبرة كالمنضدة الحمراء و الكتب الصفراء و الزهور الإقحوانية و الوجه الشاحب و القفازين اللذين يشيران إلى أحد النباتات الطبية و الكتابين اللذين يشير أحدهما إلى حالة مرضية مميته و يشير الآخر إلى عالم الرسامين مما يضفى قيمة جمالية أخرى.يمكن القول أن الفنان" فان جوخ "قد عبر فى تلك الصورة الشهيرة عن المعاناه الإنسانية فى أبرع صورها حين رسم الطبيب المفعم بالحزن و الكآبه كخير شاهد على ما يعانيه الرسام نفسه من هذه المشاعر ، مما يجعل كل[2] من يشاهد الصورة يتساءل فى نفسه : "ماذا نفعل إذا كان الشخص الذى من المفترض أن نطلب منه المعونة هو نفسه فى حاجة للمساعدة " .

افتراض حالة الصرع لدى فان جوخ

ذكر الدكتور" وذرنغ" (النبات القمعى) ضمن قائمته لعلاج الأنواع الأخرى من الصرع ، و لقد استنتج بأن استعمال كميات كبيرة أو متعاقبة تؤدى إلى التشويش البصرى و الأشياء تظهر خضراء أو صفراء كما أنه وثق حدوث(فقدان البصر) و اختلاطات أخرى اضافية . و يشير كتاب (Mrtindal 1989) إلى الإضطرابات البصرية التى يسببها هذا العلاج كتشويش البصر و فقدان البصر و اختلال رؤية الألوان مع ظهور الأشياء بلون أصفر و إلى حد أقل بلون أخضر، أزرق أو أبيض ، لابد هنا من أن نكون حذرين فى ملاحظتنا هذه و أن لا نقفز إلى استنتاج أن الكم الكبير من اللون الأصفر فى لوحات فان جوخ سببه استخدام هذا العلاج و إلا فإن الصورة بكاملها ستفقد ألوانها و لكن تجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد تشابه بين ألوان الشيء الذى يرسمه "فان جوخ "و ألوان الشيء نفسه فى اللوحة. بالأضافة إلى أن كان لعائلته نصيبها من الأمراض النفسية، فمن بين أربعة أشقاء عانى «ثيو»؛ الأخ الأكثر قربا له، من نوبات اكتئاب شديدة، بينما عاشت أخته «ويلمينا» ما يقرب من ثلاثين عاما في مصحة للأمراض العقلية، كما تشير دلائل عديدة على موت أخيه «كورنيليس»منتحراً، وهذا كله يشير إلى ما هو ثابت الآن بأن حدوث المرض بمعدل مرتفع في الأقرباء من

---

[1]- مصطفى يحيى(1993)،المرجع السابق،ص22

[2]- المرجع السابق،ص23

الدرجة الأولى هو سمة مميزة للاضطرابات ثنائية القطب بما يحمل ذلك من آلية وراثية في حدوث المرض. قبيل عام 1886 عانى فان جوخ فترات اكتئابية بالتبادل «وسرعة التقلب» مع فترات أخرى من الهوس. حدثت الفترات الاكتئابية أثناء إقامته في لندن بعد قصة حب فاشلة وطرده من الكنيسة وانفصاله عن «سين» السيدة التي أحبها لاحقا، بينما جاءت الفترات الهوسية متزامنة مع تحوله إلى الكنيسة الرسولية و بداية عمله بالفن. [1]

ونجد فان جوخ في تلك الفترة مدخنا شرها ومسرفا في احتساء المشروبات الكحولية إضافة الى احتمال تعاطيه للتربانتين والكافور اللذين يستخدمان في الرسم. وهذا كله يعد من تصرفات مرضى الاضطرابات ثنائية القطب، بما يحمله تعاطي هذه المواد من تحفيز لحدة الاكتئاب أومحافظة على اليقظة الزائدة خلال نوبات الهوس، بالإضافة لتأثيرها في عدم ثبات الحالة المزاجية.

خلال الفترة ما بين 1870 1890 كتب فان جوخ لأخيه «ثيو» بشكل منتظم، وأظهرت تلك الرسائل مدى ما كان يعانيه من قلق ومخاوف؛ من الفقر والمرض والفشل، بالإضافة إلى العديد من أعراض الاضطرابات ثنائية القطب على الرغم من صعوبة الفصل بين مراحل الاكتئاب والهوس أو معرفة الفترات التي تستغرقها كل منها[2].

حالات الهوس و الإكتئاب المفترضة لدى فان جوخ

في رسالة لأخيه، وهو ما تكرر في مجموعة أخرى من الرسائل عبر فان جوخ، بقوة عن حالات الهوس الشديدة والمتكررة، وآثارها السلبية في قدراته على التعبير الفني، وعن إدراك الأهداف الجمالية في أعماله، على الرغم من أن النظر لتلك الأعمال يكشف تضمنها قدرا كبيرا من التحقق الفني[3].

لتفسير هذا التناقض يجب توضيح أن حدة الاكتئاب والهوس تتباين خلال مسار المرض، بما يجعل دورات «الهوس/الاكتئاب» تتناوب مع دورات أخرى من «الهوس الخفيف/الاكتئاب».

والحقيقة أن الهوس الخفيف يتسم بأنه أقل حدة من الهوس، وإن كان مصحوبا بالنشاط الزائد وهو ما يظهر جلياً في حالة فان جوخ ليس فقط في الكم المؤثر لأعماله التي أنتجها في فترة زمنية قصيرة نسبيا، ولكن، أيضا، في أسلوب رسائله بإيقاعها الذي حمل نوعا من التدفق اللاهث، وتعبيراته المليئة بالعاطفة وأفكاره المتدفقة ، الطليقة المسترسلة بلا توقف. ولعل حالة التسارع في إنتاجه للوحات في فترات تعرضه للضوء خلال فترتي الربيع والصيف، أحد دلائل ظاهرة معروفه تربط بين النشاط الزائد والتعرض للضوء لدى مرضى الاضطرابات ثنائية القطب[4]. وفي مقابل الرسائل الدالة على فترات الهوس التي مر بها فان جوخ، وجد الباحثون رسائل أخرى تعكس مروره بمراحل اكتئابية عبر فيها عن بؤس التشرد وعبثية محاولاته في الفوز بحب امرأة وقع هو في غرامها، بالإضافة إلى فقدانه الأمل لتحقيق أهدافه كرسام، وخوفه من الموت المبكر. سمة أخرى للاضطرابات ثنائية القطب هي فقدان القدرة على إقامة علاقات اجتماعية ثابتة، وهو مايتضح في عدم استمرار

---

[1]- ابراهيم العريس،فنسنت فان جوخ،المرجع السابق

[2]-خالد جمال،الطب و أمراض المشاهير فان جوخ نموذجا،مجلة العربي،متواجد في:
http://www.alarabimag.com/Article.asp?ART=5308&ID=54

[3]- ابراهيم العريس، المرجع السابق

[4]- المرجع السابق

فان جوخ في العمل داخل كيان منظم، بالإضافة إلى توتره الدائم وعدم قدرته على احتمال إدارة العمل بما تمثله من سلطة [1].

أراء أخرى لتشخيص حالة فان جوخ

يقول الكاتب"Wilfred Niels Arnold" "أرنولد": " اعتمدت على رسائل فنسنت فان جوخ فان جوخ و كان المرجع بالنسبة لي و رتبتها وفق علامات و أعراض طيبة بعينها' لأقدم بذلك لأجيال الدارسين الفائدة و الرأي الذي يتوافق مع المنطق. و في المبحث الخاص "بالفرضيات العلمية الأخرى"، بدأت بطرح الفرضية التي ينتبناها معظم المؤلفين و اكتشفت أن القليلين فقط هم من أفلحوا في تناول الموضوع.كان من الواضح أيضاً أن الكثير من تلك الأقترحات كانت تفتقد الرؤية المُحكمة و التوثيق، و قد هبطت على أرض الخيال الأدبي، و في بعض الأحيان تم اقتباسها على نحو واسع النطاق ووصل تواتر الأخطاء إلى حد فادح دون أدنى فائدة للذوق العام. و كان أحد الأمثلة السافرة على هذا الإدعاء السخيف هو القول إن أحد الأعشاب السامة كان السبب فيما يعاني فان جوخ من مرض بالأساس."[2]

"أسرع المؤرخون الفنيون وكذلك آخرون في ملاحظة اللون الأصفر" الذي يطغى غالباً على بقية الألوان في أعمال فان جوخ. و هذا لا يعد اكتشاف في حد ذاته لأن الفنان نفسه قد كتب عن مسألة إسرافه في استخدام الأصباغ الصفراء و ابتكر هذا الأسلوب. يمكن أن نعرف عن مسألة افتتان فنسنت فان جوخ باللون الأصفر من خلال خطاباته التي كتبت فيما بين (1887-1890)، التي ذكر فيها أن الأصفر موجود في الأشياء المحيطة به أكثر من أي لون آخر و كان ذلك رأي أرنولد (Arnold,1992). لكن لي (Lee,1981) كان يرى أن فان جوخ كان يعاني من xanthopsia ، حيث تنعكس صورة العلم في عيني المريض و كأنها مرت بعدسة صفراء، وأن فنسنت فان جوخ تعرض على نحو زائد لنبات القمعية Digitalis و تجرع السائل المغلي منه. ولا شك أن تجرع الكثير من منقوع هذا النبات يؤدي إلى مثل هذا التأثير، لكننا لا نملك الدليل القاطع الذي يثبت أن فان جوخ تجرع ذات يوم مثل هذا الدواء. و من ثم لا يزال القول بأن الأصفر كان اللون لمفضل لغاية فنية رأها الفنان من بين أفضل الفرضيات (Arnold & Loftus ,1991). وكذلك أرى أن ذكر التسمم بنبات القمعية ليكون من بين الأحتملات التي تفسر الأزمات النفسية و العصبية التي تعرض لها فان جوخ والتي أدت في النهاية إلى انتحاره هي فرضية منافية للعقل ولا يمكن قبولها." [3]

---

[1]- خالد جمال،الطب و أمراض المشاهير فان جوخ نموذجا،المرجع السابق

[2] - The Illness of Vincent van Gogh, Wilfred Niels Arnold, -Ibid,p.33 -

[3] - Pathographic analysis of Vincent Van Gogh and its significance , Toshiko SUZUKI and Takeshi MATSUISHI, Yokohama National University, Faculty of Education and Human Sciences, Department of Disability Studies, http://www.medico-pedagogy.org/goghpathographyJ_Ewp.pdf

تأثير تعاطي الكافور و مشتقات التربنتين على فنسنت

جدير بالملاحظة أن فنسنت فان جوخ كان يتعاطى كميات كبيرة من الكافور لمواجهة حالة الأرق و عدم قدرته على النوم، كما حاول أن يشرب الترابنتين.، و هناك إشارات إلى قيامه بقضم ألوان الزيت الممزوجة بالترابنتين. حين كان فان جوخ في أرليس للأستشفاء تمت معالجة نوبة مرضه بإعطائه البروميد و تقليل مرات التدخين. و من ثم يمكنني القول إن فان جوخ قد استهوته مسألة تعاطي مشتقات الترابنتين، و هو الرأي الموثق بأمثلة مثل الثوجون(Thujone)، الكافور والترابنتين(Arnold,1988). ومن ثم يمكننا أن نفسر أفعال فان جوخ الغريبة الشاذة في السنتين الأخيرتين من حياته من حيث قيامه بأكل الألوان، وشرب الترابنتين و الكيروسين.[1]

دور الأفسنتين في مرض فنسنت

إن العدوى المرضية و المرض الأساسي قد لعبا دوراً مهما في تحديد تفاعل فنسنت فان جوخ مع العقاقير، فعلى سبيل المثال تشير خطابات الفنان إلى إدمانه على الأفسنتين. و قد رسم "المقهى الليلي" The night coffee (شكل(11)) و هو يقف أمام المكان لمدة ثلاث ليال، حيث كان ينام نهاراً(خطاب 533). و يمكننا القول إنه ربما يكون قد تجرع كوب أو اثنين أثناء تنفيذ هذه اللوحة، ولكننا لا نقر بأن فان جوخ كان يرسم و هو سكران. ولكن فنسنت فان جوخ كان يتجرع الأفسنتين و لا يمكن أن نرجع كافة المشكلات التي كان يعاني منها فنسنت فان جوخ إلى الأفسنتين، لكنه أقر بتناوله المشروبات الكحولية و عبر عن خوفه من أن يصير مدمناً لها (Arnold,1992,p.79).

خلال تواجد فنسنت فان جوخ مع جوجان أصيب فنسنت فان جوخ بأزمته الأولى في أرل Arles. كان جوجان يتجرع ذات الكمية من الأفسنتين التي يتجرعها فان جوخ، لكنه لم يعاني من ذات المشكلات الصحية، و التفسير الذي نخلص إليه من هذا كله أن فنسنت فان جوخ كان شديد الحساسية تجاه الأفسنتين، و أن حالته المرضية لم تجعله يحتمل شرب المزيد، إذن فالأفسنتين كان أحد العوامل الكيميائية المؤثرة سلباً في حالة فان جوخ و لكنه ليس المسبب الرئيسي للمرض.[2]

طبيعة مرض AIP (نوبات البورفيرية الحادة النتقطعة) Porphyria

هي إحدى الإضرابات الآيضية Metabolic Abnormalities، التي تتسم بزيادة إفراز مادة البورفرين Porphyrins أو المركبات في البول و البراز. و في حالة ال AIP تكون الأعراض كلها عصبية بسبب إفراز هذه المركبات. و تتميز الأعراض بسرعة بدايتها و توقفها المفاجئ. قد يصاب المرضى بحالة من الشلل التام في الوبات الحادة، و قد يصبحوا عاجزون تماما عن التنفس و البلع و التواصل مع الآخرين على نحو جيد، إلا انهم لا يفقدون الوعي ، وقد يعانون طوال مدة النوبة من آلالام مبرحة.

---

[1]- Color and Emotion , a Psychophysical Analysis of Van Gogh's Work,Ibid

[2]- The Illness of Vincent van Gogh, Ibid,p.28

فنسنت فان جوخ فان جوخ و مرض AIP

تتوافق كافة الأعراض المرضية التي عانى منها فنسنت فان جوخ مع فرضية إصابته ب AIP، و لعل أبرز هذه الأعراض المرضية هي معاناته من آلالام معوية، و اضطربات عصبية، فضلا عن سن بداية ظهور المرض، و مدة النوبات المرضية، و كذلك ماثبت بالوثائق من تداعيات الأعراض و ازديادها حدة في حالة سوء التغذية و قيامه بتناول كميات كبيرة من الأفسنتين.

إن اجماع العوامل التالية: تناول الكافور و الأفسنتين بكميات كبيرة، و سوء التغذيةهي- بطبيعة الحال-أمور ضارة للغاية لأي إنسان، إلا أنها قاتلة بالنسبة للمصاب بمرض AIP و من ثم خلص كل من دكتور/ لوفتس Loftus، و دكتور أرنولد Arnold (1991)، إلى إصابته بمرض البورفرية الحادة المتقطعة AIP، و هكذا كانت الحال بالنسبة لأخيه ثيو Theo، و اخته ويل Wil.

الجدير بالذكر أن AIP مرض وراثي، يسري في عائلات بعينها، فإذا كان أحد الأبوين حامل لجين المرض فإن نسب إصابة الأبناء تصبح 50%، أما بالنسبة لحالة فنسنت فان جوخ، فإن والدته توفيت عن عمر 88 عام، و كانت تنعم بالصحة و العافية، غير أن والده الكاهن الأكليركي ثيودوروس فان جوخ مات عن 63 عام، و قد اعترض حياته مرض عضال، وقيل إنه لم ينعم بصحة جيدة معظم حياته. و قيل إنه توفي أثر تعرضه لجلطة، و يبدو أن الأب هو على الأرجح حامل جين AIP، ولكن الأمر لا يعد سوى أن يكون مجرد تخمين وفق معطيات علمية.[1]

وفي هذا السياق يبدو من الملائم استعراض بقية الفرضيات، التي ذهب إليها البعض، فيما يتعلق بحقيقة مرض فنسنت فان جوخ فان جوخ، و سيتم تقيمها لتوضيح مدى صحتها و هي على النحو التالي:

- **الفرضية التي ترى بأن فنسنت فان جوخ فان جوخ مريض بالصرع:**

يُعرف الصرع Epilepsy بإنه إضطراب مفاجئ و متكرر يحدث في وظائف المخ، يظهر في نوبة فقدان الوعي، تتخللها مظاهر حركية غير عادية، و اضطرابات عصبية أو اضطراب في الجهاز العصبي اللإرادي. لكن فنسنت فان جوخ و الأطباء المعالجون لم يصفوا النوبات المرضية التي كانت تصيبه بأنها تشنجات ارتعاشية نشطة على نحو ما يحدث في نوبات الصرع، كما أن نوبات الصرع لا تدوم إحدها سوى لعشرين ثانية، و من ثم فإن دكتور بيرون Beron قدم تشخيصا خاطئاً لحالة فنسنت فان جوخ بوصفها نوبات صرع على نحو ما دون في سجل مستشفى سانت ريمي.
فإن ذلك التشخيص لا يتفق و طبيعة النوبأت المرضية التي أصابت فنسنت فان جوخ من حيث مدة بقاءها، إذ كانت تظل لأيام و ربما أسابيع، و الأهم أن نوبات الصرع لاتكون مصحوبة بالكثير من أوجاع المعدة و الأمعاء، فضلاً عن سوء التغذية و الأمتناع عن الطعام ليست من العوامل المحفزة

[1] -Ibid,p.29

على وقوع النوبة الصرعية. إضافة إلى ذلك كله فقد أعطى فنسنت فان جوخ البروميد Bromide (خطاب 574) في مستشفى أرليس، وهو الدواء المعالج لحالات التسمم بالأفسنتين أو في حالات البورفرية الحادة المتقطعة، و ليس لحالات الصرع.[1]

- **الفرضية التي تقول إن فنسنت فان جوخ مريض بالهوس الإنقباضي(Manic-Depressive Illness)**

تم تحديد أعراض الهوس(mania)_عام 1900، بإنه اضطرابات مزاجية تتسم بالأحساس بوهم العظمة، و الأبتهاج الشديد، و النشاط الزائد، و الهياج، وزيادة سرعة تواتر الأفكار و الكلام وعدم التركيز. كانت دكتور بري Perry(Perry,1947,p.161) أول من قال بإصابة فان جوخ بالهوس الأنقباضي، و قد عضد دكتور هامفيل Hemphill هذا الرأي و قال:" إن فان جوخ كان مريضا بالهوس الإنقباضي، وقد عانى في السنتين الأخيرتين من حياته من نوبات تشويش نتيجة تسممه بالثيوجون (Thujone)و هي المادة الفعالة في الأفسنتين (Hemphill,1961,p.1084)
وجدير بالذكر أن مرضى الهوس الأنقباضي قلما يدركون ماهية حالتهم ولا يذهبون للفحص في المستشفيات، كما أن هذه الأضطرابات ليس ذات بداية حادة مفاجئة ولا تتوقف كذلك فجأة، و من ثم فإن أعراض النوبات المرضية التي عانى منها فان جوخ لا تتفق قطعاً مع طبيعة مرض الهوس الأنقباضي و أعراضه.[2]

- **معاناة فنسنت من مرض التشيزوفرنيا Schizophernia "الفصام"**

عانى فنسنت فان جوخ من نوبات هذايان، و كذلك عانى من إحدى نوبات البارانويا Paranoia حيث ظن أن الجيران كانوا يحاولون دس السم له في أرليس، و لكن لم يثبت أنه كان يعانى من الفصام. فجدير بالذكر أن مريض الفصام إن لم يتلقى العلاج المناسب فإن حالاته تتدهور بشدة و يظهر ذلك بطبيعة الحال فى أعماله وهو ما لم يحدث بالنسبة لفان جوخ. تقول دكتور بيري Perry :" لم ينسحب فنسنت فان جوخ من العالم، ولكنه كان منبوذاً منه بسبب تصرفاته"(Perry,1947,p.162). و هكذا فإن مريض الفصام يظهر تبلداً في الأحاسيس في حين كانت خطابات فنسنت فان جوخ و لوحاته مفعمة بالعواطف الجياشة، ولم تظهر فيها أية علامات تدل على إصابته بالفصام، وكذلك لم تظهر فيها أية مظاهر خيالية أو أوهام على نحو ما يعاني مرضى الفصام، وكذلك لم تظهر فيها أية مظاهر خيالية أو أوهام على نحو ما يعاني مرض الفصام، بل أن خطاباته اتسمت بالمنطق و سلامة القوى العقلية، و هو ذلك لم يعاني قطعاً من مرض الفصام. (Arnold, 1992). [3]

---

[1]- Color and Emotion, Ibid
[2]- The Illness of Vincent van Gogh, Ibid,p.34
[3]- Ibid, p.36

- **تأثير إدمان الكحول على نوبات البورفرية المتقطعة الحادة**

من الصعب تحديد مدى إدمان فنسنت فان جوخ للمشروبات الكحولية، و لكننا نقر بإنه كان يتناول منها كميات كبيرة. و قد تمكنت المستشفى في أرليس و كذلك المصحة النفسية في سانت ريمي من تقليل الجرعات التي كان يتناولها فنسنت فان جوخ، و يبدو بطبيعة الحال، أن فنسنت فان جوخ كان أكثر حساسية تجاه تناول أية جرعات زائدة من الكحول، إذ أن الكحول من بين العوامل المحفزة على ظهور نوبات البورفرية المتقطعة الحادة، ومن ثم فإن إدمانه الكحو قد يكون من بين الفرضيات المعقولة التي أسهمت في حدة نوباته المرضية، و لكنه ليس الوحيد لمجموعة الأعراض التي عانى منها فان جوخ.[1]

آمن البعض بالنظريات التي ساقها الأطباء المعالجون حول طبيعة مرض فنسنت فان جوخ و ما صيغ من تشخيص لحالته، حتى أن البعض قال إن طبيبه المعالج دكتور ري (Dr-Rey) في أرل كان عبقرياً فذاً، حين قال بإصابة فان جوخ بنوبات صرع، وهو ما يخالف الحقيقة. و من خلال الوثائق و البينات، يتبين لنا أن فنسنت فان جوخ يعاني من اضطراب وراثي ظهر في صورة مشكلات عصبية حادة متعددة الأوجه، وكانت مصحوبة بآلالام معوية ووصلت إلى حد نوبات الهذيان، كانت حالته رهن أسلوب حياته، فسوء التغذية و الإفراط في تناول المشروبات الكحولية، والتدخين بشراهة، فضلا عن التعرض للعوامل البيئية الأخرى، وولعه الشاذ بتناول مشتقات الترابنتين هي كلها عوامل مؤثرة سلباً في ظهور النوبات المرضية. و كذلك لوحظ أن نوبات المرض كانت متقطعة، و كانت الأزمة الصحية تبدأ فجأة، و تنتهي سريعاً ليعود فنسنت فان جوخ إلى حالته الطبيعية.[2]

لا تظهر الأوساط الفنية اهتماماً بالتعرف على حقيقة مرض فنسنت فان جوخ الأساسي، بل أن المقالات الفنية تتحاشى الخوض في الموضوع و تكتفي بالقول بإنتحاره عام 1890. اضف إلى ذلك أن الكثير من تجار الأعمال الفنية و القائميين على اللوحات يرفضون رفضاً قاطعاً قبول أي تفسير علمي لمسألة مرض فان جوخ، مفضلين أن يرتبط اسمه بالأساطير و الحكايات التي من نسج الخيال للحفاظ على الغموض الذي يكتنف اسمه. أما أنا فأرى أن تفسير ما يتعلق بأمر مرض فنسنت فان جوخ الأساسي و دور البيئة هي أمور ستزيد الأهتمام بإبدعات فان جوخ و ليس العكس.[3]

إن فنسنت فان جوخ فان جوخ لم يكن فناناً مجنوناً، ولكنه إنسان فذ عانى من مرض وراثي عضال. كان بفضل ذكائه و موهبته وعمله الدؤوب، مبدع على نحو فائق. كان عبقرياً رغم مرضه و ليس بسبب مرضه، و من ثم فإنه هذه الحقيقة تجعل إبداعات فان جوخ جديرة في مجملها بالثناء و التقدير.

كما تحدثنا عن فنان عانى نفسياً سوف نقوم في الفصل التالي بالإستعاناه لنموذج فنانة عانت جسدياً و نفسياً و أصبحت هذه المعاناة مصدر إلهام في أعمالها الفنية.

---

[1]- Ibid,p.38

[2]- Ibid,p.39

[3]- Ibid,p.40